

الفقيه المجدِّد المقدَّس
السيِّد محمّد حسين فضل الله

من الذات إلى المؤسسة

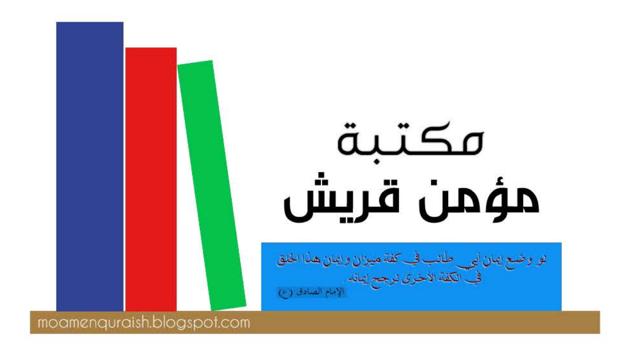
حسين بركة الشامي

دار الإسلام

الفقيه المجدّد المقدّس

السيّد محمد حسين فضل الله

من الذات إلى المؤسسة



الطبعة الأولى

١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

بيروت

دار الإسلام

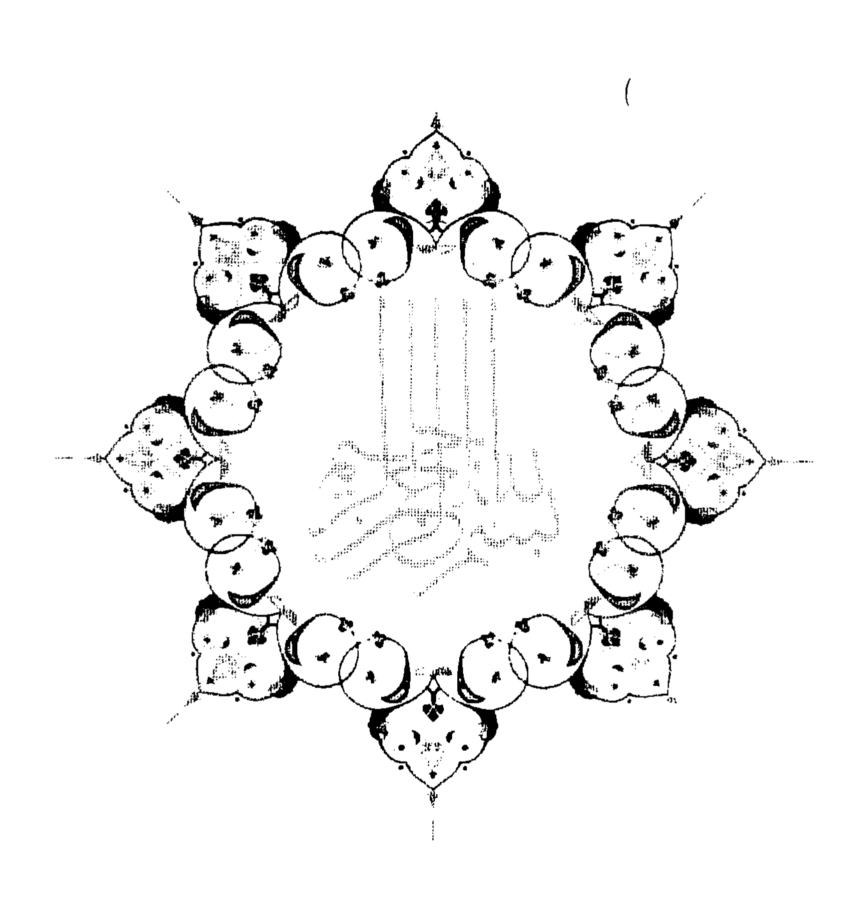
الفقيه المجدّد المقدّس

السيّد محمد حسين فضل الله

من الذات إلى المؤسسة

السيّد

حسين بركة الشامي



تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ

[القصص : ٨٣]

شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ* إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ

[آل عمران :١٨– ١٩]

روى الشيخ الصدوق عن الامام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«ستةٌ تلحقُ المؤمنَ بعد وفاته: ولدٌ يَستغفرُ له، ومصحفٌ يَخلفهُ، وغرسٌ يَغرسهُ، وبئرٌ يَحفرها، وصدقةٌ يُجريها، وسنّةٌ يُؤخذُ بها من بعده»

من لا يحضره الفقيه ج٤ ص ٢٤٦




٦



الإهداء

إلى

رجل الفكر والحوار..

ورائد الوحدة والتقريب ...

إلى المرجع الديني المجاهد السيد

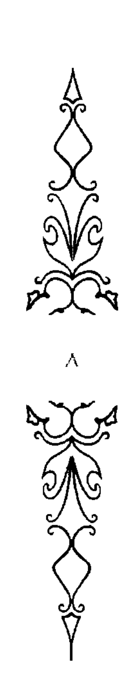
محمد حسين فضل الله «طاب ثراه»

إليكَ.. أباً.. ومعلماً ...

أُقدّمُ هذه الصفحات الموشّحة بالحزن والألم..

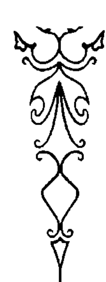
والمفعمة بالحبّ والوفاء..







المقدّمة



يُعدُّ العلّامة المرجع سماحة آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله «قدّس الله روحه الزكية» أحد أبرز الفقهاء الواعين والمفكّرين المجاهدين في الساحة الإسلامية، فقد شكّلت حياته وحركته ظاهرة متميزة منذ بدايات النصف الثاني للقرن العشرين الميلادي، حيث انطوت شخصيّته الفكرية والحركية الفذّة على خصائص ومرتكزات أساسية تعتمد الأصالة من جهة والانفتاح والمعاصرة من جهة أخرى.

ولا شكَّ أنّ لجامعة النجف الأشرف العريقة ذات الألف عام، دوراً كبيراً في تعميق وبناء هذه الأصالة في فكره وحركته وتشكيل عقله وبناء شخصيّته الموسوعية.

كما أنّ للساحة اللبنانية المنفتحة على قضايا الفكر والسياسة والإعلام دوراً آخر في انطلاقته وحواراته في مختلف القضايا السياسية والمجالات الثقافية والاجتماعية المتنوعة.

ومن الخصائص والمميزات في شخصيته رحمه الله الاهتمام

بالحركة الإسلامية وحَمْلُ همومها وتطلّعاتها، والتنظير لمفردات مسيرتها الفكريّة والعمليّة، حتى أضحت مصطلحات «الإسلام الحركي» «الحالة الإسلامية» «الواقع» «السّاحة» «الانطلاق والانفتاح» «المسألة والقضية» «أسلوب الدعوة والتوازن» «العمل والعاملين» «الحياة والإنسان» وما شابه ذلك من المفردات، من مختّصات قاموسه الثقافي المتداول في أدبيات الحركة الإسلامية المعاصرة في مختلف الساحات والمواقع.

ولعلَّ كتَابَيْه «خطوات على طريق الإسلام» و «الحركة الإسلامية .. هموم وقضايا» من الكتب الرائدة التي تعبّر عن هذه الحقيقة.

وعلى صعيد المذاهب الإسلامية والاختلاف في الرؤى ومناهج الاجتهاد والاستدلال الشرعي فإنه يُعدُّ بحقٍّ رائداً من روّاد الوحدة والتقريب بين أبناء الأمة الواحدة على تنوّع مذاهبها وتعدّد وجهات النظر في الفقه الإسلامي، ونظريات علم الكلام والعقائد.

كما أنّ السيد فضل الله رحمه الله كان يحمل لواء الحوار الإسلامي المسيحي وضرورة فتح آفاقه الرحبة في العناصر المشتركة بين المسلمين وغيرهم من أبناء الديانات السماوية، والتأكيد على كلمة سواء تجمع المسلمين وأهل الكتاب والذمة في إطار التسامح والرحمة والمواطنة والتعايش الإنساني

الكريم، متمثّلاً بقول جده أمير المؤمنين لعامله على مصر مالك الأشتر: «.... **فإنّهم صنفان إما أخٌ لكَ في الدين أو نظيرٌ لكَ في الخلق**».



هذا على صعيد الحوار والوحدة والتقريب، وأمّا على صعيد المؤسسة الدينية فقد كان يحمل منذ شرخ شبابه مشروعاً للإصلاح والتجديد في كيان المرجعية الدينية التي يجب أن تواكب العصر وتنفتح على قضايا المسلمين بروح موضوعية، بعيداً عن الانكفاء على الذات أو الاعتزال عن هموم الأمة وحركة الحياة.

وكان يشارك الإمام الشهيد الصدر «رضوان الله عليه» في هذا الهمّ الدائم والجرح النازف عبر الزمن.

ومن منطلق الوعي والإبداع والتجديد والريادة كانت دراساته في مجال الفقه والاجتهاد تمتاز بالجرأة والشجاعة في عرض الآراء الفقهية ومناقشتها مناقشة الفقيه الواثق المتنوّر الذي لا يتوقّف عند نظريات السلف الصالح رغم احترامه لها ولا يتجمّد عند المألوف والمشهور، فربّ مشهور لا أصل له.

ولهذا أثارت بعض آرائه وفتاواه حفيظة بعض «المجتهدين المقلِّدة» الذين لا يتجاوزون الذات ولا يملكون القدرة على خلق رؤية جديدة تعيش روح العصر أو تَفَقَهُ مستجداته وتطوّراته.

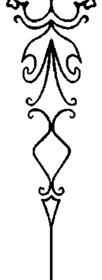
كما تميّزت بحوثه في التاريخ والتراث بالنقد والتقويم وعدم الاستسلام للقضايا التي تخالف المنهج العلمي السليم، أو أنّها



تتعارض مع منطق العقل وطبيعة الأشياء.

ولعلّ موسوعته التفسيرية «من وحي القرآن» التي أنجزها خلال مسيرته الفكرية الطويلة وعطاءه العلمي والثقافي عبر عدّة عقود من الزمن، كانت تجربةً متقدّمةً تجلّت فيها أبعاده المعرفية ذات الأصالة والعمق والشمولية، والنقد والتقويم والمقارنة، والأمانة العلمية والدقّة في التعبير والوضوح في البيان واللغة.



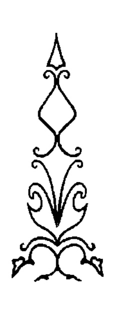


ولا شكّ أنّ البعد الأدبي والتجربة الثرّة لسماحته في الشعر والخطابة والتبليغ أضافت إلى أبعاده الأخرى في الفكر والفقه والتفسير لوناً إبداعياً متميّزاً بالخصب الفكري والجمال التعبيري والتحرّر من قيود الواقع ومسلّماته الواهمة.

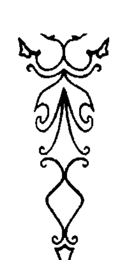
وبقي أن نذكر الأبعاد الإنسانية ومشاريعه الخيرية الخالدة التي تشكّل هي الأخرى ظاهرة كبيرة ليس في لبنان فحسب بل في العالم الإسلامي أجمع.

حيث كانت مشاريع المبرات لرعاية الأيتام ومساعدة المرضى والمحتاجين والمعوّقين ومؤسسات التعليم والتنمية البشرية نماذج حيّة وعلامات بارزة تعكس طبيعة نفسه الخيّرة وروحه النقيّة ومشاعره الإنسانية في إطار الإسلام ومدرسة أهل البيت عليهم السلام.

و«مؤسسة دار الإسلام» الخيرية والتي هي نفحة من نفحات روحه الطاهرة إذ تُصدر هذا الكتاب «العلاّمة المرجع السيد محمد



حسين فضل الله.. من الذات إلى المؤسسة» الذي كان بالأصل ضمن كتابنا الموسّع «المرجعية الدينية من الذات إلى المؤسسة» الذي صدر عام ١٩٩٩م وأُعيد طبعه أكثر من مرّة وكان له صدىً في الأوساط الثقافية والمعرفية في العراق وبلدان الهجرة.



والمؤسّسة إنّما تهدف إلى إبراز خصائص مميزات منهج ومشروع سماحة السيد فضل الله في الفكر والحركة، كما أنّ هذا الكتاب كان استجابة لطلب ثلّة من المثّقفين والعارفين لفضله وجهاده.

وقد أجرينا عليه بعض التعديلات والإضافات وألحقنا به بعض الملاحق والوثائق والصور، وذلك لأنّ سماحة السيد محمد حسين فضل الله - الظاهرة والمجدّد والمصلح - أصبح مداراً للبحث والدراسة من قِبَل المعنيين بالشأن الثقافي والسياسي والأدبي من مسلمين وغيرهم، خصوصاً بعد رحيله المفجع رحمه الله وفقدان الساحة الإسلامية من أمثاله من المصلحين الروّاد والمبدعين المجدّدين، حيث ترك فراغاً كبيراً في مواقع الحركة الإسلامية وفي حياة الأمة. وقد كان مصداقاً للحديث الشريف: **«إذا مات العالم الفقيه ثُلِمَ في الإسلام ثلمةٌ لا يسدّها شيء»**.

رحم الله فقيد الأمة العلّامة المرجع المجاهد السيد محمد حسين فضل الله الذي غادرنا ونحن أحوج ما نكون إليه في قضايا الفكر والفقه ومسيرة العمل والعاملين. ولئن رحل عنّا

جسداً فلقد ظلّ فكراً ونهجاً في طريقنا الصعب الطويل وسيظلّ لنا على طول الخط أباً ومعلماً، نتعلّم منه كيف نكون مشروعاً للمحبة والتسامح والصفح حتى عن أولئك الذين حاربوه وظلموه في نفسه وأهله ومرجعيّته، وإن كان يردّد في بعض خواطره رحمه الله قول الشاعر:

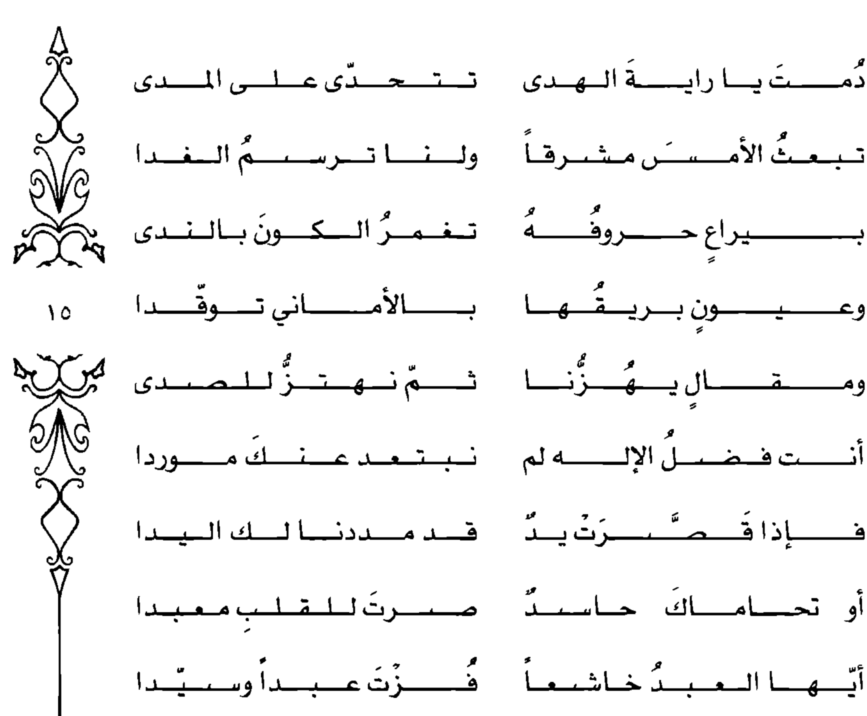
وظلم ذوي القربى أشدّ مضاضةً على المرء من وَقْعِ الحُسام المهنّدِ



أجل إنّ سحائب الحزن تخيّم على نفوس المؤمنين وأوجاع الفجيعة تعتصر قلوب المحبين بالألم وهم يردّدون قول الشاعر:

اليوم نامت أعينٌ بكَ لم تَنَمْ وتسهّدَت أُخرى فعزَّ منامُها

أما أنا فحسبي أنني أعيدُ ما قلتُه بحقّهِ رحمه الله وقبل حوالي عشرين عاماً إثر الوعكة الصحية الأولى التي ألمّت بقلبه والأزمة المفتعلة التي أثيرت حوله وهو يشكو ظلم ذوي القربى.



دُمتَ يا رايةَ الهدى تتحدّى على المدى

تبعثُ الأمسَ مشرقاً ولنا ترسمُ الغدا

بيراعٍ حروفُهُ تغمرُ الكونَ بالندى

وعيونٍ بريقُها بالأماني توقّدا

ومقالٍ يهُزُّنا ثمّ نهتزُّ للصدى

أنت فضلُ الإله لم نبتعد عنكَ موردا

فإذا قَصَّرَتْ يدٌ قد مددنا لك اليدا

أو تحاماكَ حاسدٌ صرتَ للقلبِ معبدا

أيّها العبدُ خاشعاً فُزْتَ عبداً وسيّدا

فنم قرير العين فقد أدّيت رسالتك كاملة غير منقوصة، وفزت بالنعيم، فهنيئاً لك الخلود وأنت تحلّ ضيفاً على الله مع النبيين والصدّيقين والشهداء وحَسُنَ أولئك رفيقاً، والسلام عليك في سجّل الخالدين.

حسين بركة الشامي

الأمين العام لمؤسسة دار الإسلام


١٦




الفصل الأول:

السيد فضل اللّه.. آفاق الفكر الحركي



الفصل الثاني:

مشروع المرجعية المؤسسة في فكر السيد فضل اللّه



الفصل الثالث:

أضواء على الأزمة المفتعلة



الفصل الرابع :

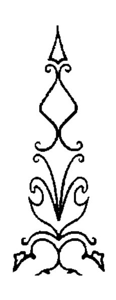
مؤسسة دار الإسلام في مواجهة الأزمة



الفصل الخامس :

الملاحق والوثائق


١٨



«كلُّ من غادر النجف خسر النجف إلّا السيد فضل الله فإنَّه خسرته النجف».

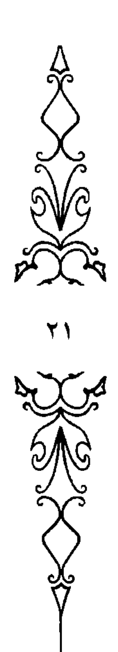
السيد الشهيد محمد باقر الصدر

الفصل الأول

السيد فضل اللّه .. آفاق الفكر الحركي



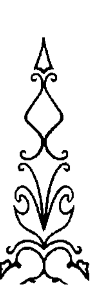

٢٠



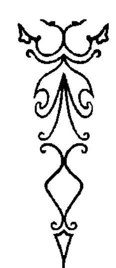
عندما جئتُ إلى النجف الأشرف طالباً في حوزتها العلميّة الكبرى عام ١٩٧٠م، كانت هذه المدينة العملاقة برموزها الفكرية والأدبية، تحتفظ بإخلاص كبير لكلّ الكبار الذين مروا فيها أو لا يزالون يعيشون في بيوتها القديمة الجميلة، وكنا نحن الطلبة في أوائل حياتنا الجديدة، يهمنا كثيراً أن نسمع ونرى الرموز التي سمعنا عنها من قبل. فالسيد محمد باقر الصدر كان الرجل الأول الذي يهمّنا اللقاء به، وكذلك المراجع الكبار والأساتذة المبرّزين الذين ذاع صيتهم فتجاوز حدود مدينة أمير المؤمنين عليه السلام.

وكان من بين تلك الأسماء اللامعة السيد محمد حسين فضل الله الذي عرفناه وعرفته الأوساط العلمية والحركية، بغزارة إنتاجه الأدبي والعلمي. ورغم أنّه كان قد غادر العراق إلى موطنه في لبنان، إلّا أن آثاره كانت محفورة في ذاكرة الواقع، وكأنّه لا يزال يعيش في أزقّة النجف، ويتردّد على مجالسها العلمية والأدبية.

ترك السيد محمد حسين فضل الله تراثاً كبيراً في الشعر والفكر، وكان بشهادة الأجيال له السهم المعلّى في المجالَيْن، حيث كان شعره يحكي كتبه في معالجتها للقضايا الحركيّة







وشؤون الأمة، وكانت كتبه تحاكي شعره في رقّة الأسلوب وجمال العبارة.

ففي الخمسينيّات من هذا القرن، وهي الفترة الحسّاسة من التاريخ الإسلامي الحديث، حيث المدّ الشيوعي والتيارات الفكرية المعادية للإسلام، كان السيد فضل الله، أحد الرموز الحقيقية في العمل الإسلامي إلى جانب رفيق دربه الإمام الشهيد الصدر، ولم يكن المتحرّكون يومذاك كثيرين، فكان قسم منهم مشغولاً بأجوائه الخاصّة التي لا يريد أن يتعكّر صفوها، أو أن يتورّط بتحمّل هموم المسؤولية الاجتماعية ذات الأعباء الثقيلة.

في تلك الأجواء مارس السيد فضل الله العمل الإسلامي الحركي بقوة وإخلاص إلى جانب الثلّة المؤمنة التي انطلقت لتغيير الواقع البائس فكرياً، وتحويله إلى حركة حيّة في طريق الإسلام، وكان السيد فضل الله من الذين يُشار إليهم بالبنان، فبعد أن اضطرّ السيد الشهيد الصدر إلى التوقّف عن كتابة افتتاحية مجلة «الأضواء» والتي كانت تصدر تحت إسم مستعار «رسالتنا»، لم يكن هناك من يكتبها بكفاءة ومقدرة وحركية السيد الصدر غير صاحبه السيد فضل الله، فأكمل المشوار بكلّ ثقة وقوّة وكفاءة. وقد طبعت تلك الافتتاحيات فيما بعد بكتاب مستقل حمل الإسم نفسه أيّ «رسالتنا»، والمقالات تؤرّخ مرحلة هامة من تاريخ الوعي الإسلامي وتسلّط الأضواء على أهم

القضايا التي كانت تعيشها الأمة، وأهم الشؤون التي كان العمل الإسلامي يحتاجها في معركته الحضارية مع القوى المعادية.

وفي تلك السنوات التي كانت الأساس المتين والأصيل للتحرّك الإسلامي المعاصر، كان سماحة السيد فضل الله يجوب العراق، ليشارك في الاحتفالات الجماهيرية، ويطرح على الملأ وبتحدٍّ واضحٍ موقف الإسلام من الأعداء، ويبثّ في الأمة روح القوّة والتحدّي والعودة إلى أصالتها الإسلامية.

ولا تزال كلماته وقصائده تعبّر عن الوعي الكبير الذي كان ينشره في صفوف الأمة.

ففي القصيدة الرائعة التي سمّاها «كالأساليب القديمة» سلّط الأضواء على الأجواء الحاكمة في تلك الفترة، وما تزال هذه القصيدة حيّة متجدّدة مع الزمن.[1]

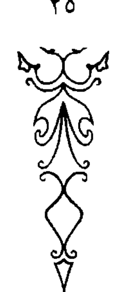
(١) راجع قسم الملاحق ص١٧٥.


٢٤

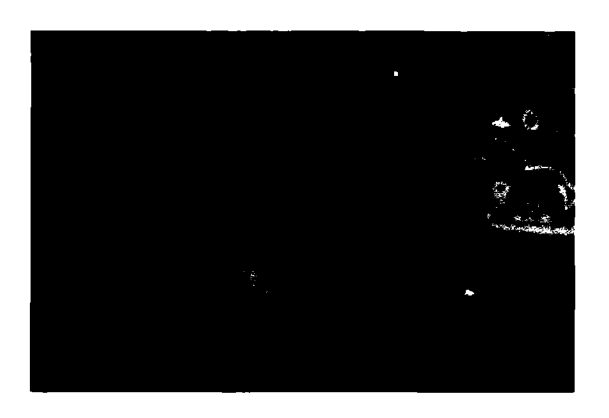


«إعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية، فإنَّ رواة العلم كثيرٌ ورعاته قليلٌ».

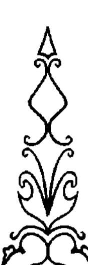
الإمام علي عليه السلام

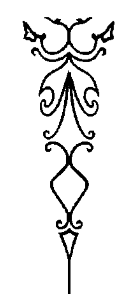


هموم الأمّة في فكر السيد فضل الله



عاش آية الله العظمى السيد فضل الله بعمق ووعي منذ تلك الحقبة الساخنة من العمل الإسلامي، وعلى أساسها كتب مؤلفاته التي اتسمت بأنّها نابعة من واقع الأمة، ومتجهة نحوها، فلم يكتب أبداً من موقع التجريد النظري، أو الترف الفكري بل كتب من موقع المعاناة والشعور بالمسؤولية الرسالية.





وهذا ما نجده واضحاً في كلّ كتابٍ من كُتُبه والتي سنقف عندها وقفةً سريعةً لنحيط بملامح مدرسته الفكرية الحركية الأصيلة.

ففي الخمسينيات أصدر كتابه «أسلوب الدعوة في القرآن» وهو من أوائل كُتُب السيد فضل الله، ومن أوائل الكتب الحركيّة التي شهدتها الساحة الإسلامية، إذ لم تألف الأوساط الثقافية، مثلَ هذا النوع من الكتابات التي تعالج شؤون الساحة بشكل مباشر، وتتحدّث بعمق عن حاجاتها الفكرية والعملية المتنوعة.

لنستمع إليه وهو يعرّف هذا الكتاب والظروف التي دفعته إلى تأليفه:

«كانت فكرة هذا الكتاب وليدة حاجة ملّحة عاشها الكتاب الإسلامي الحديث عن أسلوب الدعوة في القرآن، يرسم للدعاة إلى الله الخطَّ الإسلامي الأصيل، الذي يجب أن يسير عليه كلُّ داعية في حياته العملية من أجل الرسالة، ويمهّد الطريق للتجارب الحية التي عاشها النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام من بعده، حتى تتحوّل في تفكير المسلمين العاملين إلى مخطط عملي في خطى الطليعة الرسالية قادةً وأتباعاً لتربط الحلقات في أسلوب العمل، كما تترابط في فكرة العمل نفسه.

وربما ازداد عمق الشعور بالحاجة إلى مثل هذا الحديث عندما بدأنا نلاحظ أنّ عصور التخلّف الفكري التي عاشها المسلمون

استطاعت أن تترك لنا كثيراً من المظاهر المتخلّفة التي كان الدعاة يمارسونها في أساليب العمل، حتى انطلقت الفكرة التي تقول:

إنَّ الدين لا يتحمّل المناقشة ولا يشجّع على الحوار، ولا يعترف بالانفتاح الواعي على أفكار الآخرين ومشاكلهم الفكرية وشبهاتهم وتحدّياتهم للدين.. الأمر الذي استغلّه الآخرون الذين يحملون أفكاراً معادية للدين، في شؤون العقيدة والحياة فعملوا على الإيحاء إلى الأجيال الطالعة بأنّ الإيمان الأعمى هو سبيل الدين إلى حياة الناس، أما الإيمان المنفتح الذي ينطلق من خلال الحوار للبحث عن الحقيقة فهو سبيل المبادئ الجديدة التي ترسم للإنسان طريق الخلاص من خلال حلّ مشاكله الاجتماعية...

وكان هذا الكتاب في فترة حرجة عاشها العاملون في سبيل الله في مواجهة أعنف التحدّيات التي وُجّهت للإسلام.

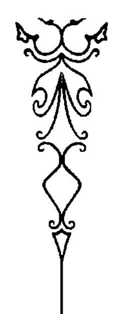
وكنا نريد للعمل أن يواجه التحدّيات من خلال الرسالة، لا من خلال الانفعالات الذاتية الطارئة التي قد تضرّ بالعمل وربّما تقضي عليه.

ولم يكن في المكتبة الإسلامية فيما نعلم كتاب يتحدّث عن أسلوب الدعوة بشكل موضوعيّ ومستقل، الأمر الذي جعل الشعور بالحاجة أشدّ وأعمق، لالتقاء الجانب العملي بالجانب الفكري في ذلك».[١]

---

(١) مقدمة الطبعة الثانية من كتاب: أسلوب الدعوة في القران.

ولو تتبعنا كلّ كتاب من كتب سماحته لوجدناه انطلق من حاجة الأمة إلى ذلك الكتاب، ولم يكتب هذا التراث الثرّ والضخم إلّا من خلال المعاناة الحيّة وحاجة الجمهور إليه، وهو ما جعل الجمهور يتابع كتاباته بشوق وتلهّف كبيرَيْن، لأنّه يجد فيها الزاد المعنوي في حركته على أرض الواقع.



كما يظهر ذلك جليّاً في كتابه القيّم «قضايانا على ضوء الإسلام» الذي يحكي عنوانُه عن مضمونه، فقد بحث فيه السيد فضل الله قضايا الأمة الحسّاسة وواقعها المعاصر وما تعاني من مشاكل وتحدّيات على ضوء الفكر والعقيدة الإسلامية.

وقد اهتم سماحة آية الله العظمى السيد فضل الله رحمه الله بالدور الميداني لعالم الدين، وضرورة اتصاله بالمجتمع وبدائرة الشباب المسلم، وأن ينزل إليهم ويعيش همومهم وشؤونهم وحياتهم بكلّ ما فيها من قضايا وإشكالات، وتلك هي سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الأعظم والأئمة الهداة من أهل بيته عليهم السلام.

فموقع الدين ليس موقعاً تشريفيّاً يعزل العالِم عن الأمة، بل هو مسؤوليّة كبيرة تفرض عليه أن يكون جزء الأمة الحي، الذي يتحرّك في أوساطها بحيويّة وفاعلية، فيعلم كلَّ أمر يدور في شوارعها، ويعرف كلّ قضيّة تثير اهتمامها. وهكذا فعل السيد فضل الله مع المجتمعات التي عاشها وعاشته، كان وجهَها



المشرق، وضميرَها الحي، وقلبها النابض، لذلك جاءت كتاباته حيّة واقعية معطاء.

ومن هذا التفاعل مع الأمة، عقد ندوته المفتوحة منذ أكثر من أربعين عاماً التي كانت تصدُر نتاجاتها في سلسلة: «مفاهيم إسلامية عامة»، ولا أعتقد أنَّ عالماً بموقعه آنذاك مارس هذا الأسلوب الحركي مع الأمة. وقد كتب عن تلك التجربة قائلا:

«في طريق العمل للإسلام يشعر العاملون بالهوّة العميقة بين الشباب وبين الدين، ويلاحظون مع هذا الشعور أنّ سبب هذه الهوّة هو الجوّ الرسمي الذي يخيّم على الصلة التي تربط علماء الدين بالشباب، الأمر الذي يحجب عن كلا الطرفين تطلعات الفريق الآخر وأفكاره ومنطلقاته في الحياة، وبالتالي يخلق الحواجز الفكرية والروحية والنفسية التي تمنع من التفاهم أو تشجّع على سوء الفهم.

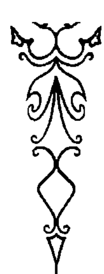
وقد حاولتُ عندما انطلقتُ إلى أجواء العمل في العراق أو في لبنان أن أتجاوز هذا الجو الرسمي إلى الجو المنفتح المنطلق الذي يجعل العلاقة في إطار الشعور العميق بالحاجة إلى المعرفة الواعية التي تتطلّع في كلّ اتجاه، وتتحرّك في أكثر من طريق لتلاحق لمحات الحقيقة وومضات الحق.

ورأيت أنَّ ذلك يستدعي منّا أن نعيش مع الشباب أفكارَه، ومطامحَه، وآمالَه، وآلامَه لنتعرّف حياته على الطبيعة، دون

حاجة إلى اللّف والدوران.

وعلى ضوء ذلك كلّه كانت فكرة الندوات الثقافية التي يلتقي فيها الشباب تحت شعار طرحناه في اتجاه الحوار الحرّ المنفتح، فأثبت نجاحه في أكثر من مجال وهو: ليس هناك سؤال تافه، وليس هناك سؤال محرج. فالحقيقة بنت البحث، والبحث لا يتبلور إلّا في المجالات التي تُفقأ فيها الدمامل وتنفذ إلى أعماق الأشياء، تنتزع كلّ ما في داخل الذات من علامات الاستفهام حول كلّ شيء يتعلق بالعقيدة والحياة».[1]





هذه هي الحقائق التي آمن بها سماحة السيد فانطلق من خلالها إلى الحياة يُرشد ويوجّه، ويرسم، ويحدّد الطريق الإسلامي الأصيل في كلّ موقع من مواقع العمل.

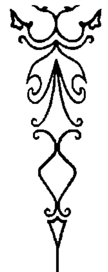
---

(١) مقدمة كتاب مفاهيم إسلامية عامة، الحلقات من ١ الى ١٠.

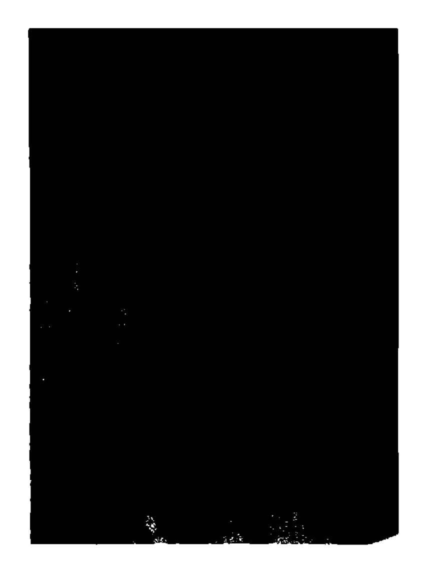


«في بعض الأحيان يكون السؤال أكثر أهمية من الإجابة».

افلاطون

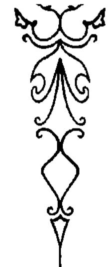


السيد فضل الله
في كتابات الباحثين



استقطبت حركيّة وشخصيّة السيد فضل الله، الكتّاب الإسلاميين فعكفوا على دراسة فكره الحركيّ من زوايا مختلفة. وأغنوا الساحة بهذه الكتابات الحركية العلمية.





ورغم كثرة الكتابات التي تناولت سماحة السيد فضل الله، إلّا أنّ المجال لا يزال مفتوحاً بسعة كبيرة، فهناك الكثير من الأبعاد لم يتناولها الباحثون في شخصيته الحركية، ولعل مرّد بعض ذلك إلى كثرة نتاج السيد وكثافة حركته العلمية، بحيث تُتعب من يلاحقه. كان أول كتاب يتناول فكرَ ومنهج ورؤى السيد فضل الله هو للأستاذ سليم الحسني وعنوانه «صراع الإرادات» في أواخر الثمانينيات، ثم أعقبه في أوائل التسعينيّات بكتاب آخر عنوانه «المعالم الجديدة للمرجعية الشيعية»، وكان الكتابان ناجحَيْن، فقد طُبعا عدّة مرات وحَظِيا باهتمام الأوساط الثقافية. وبعد محاولة الحسني ظهرت العديد من الكتب مثل كتاب (المشروع الحضاري الإسلامي) للأستاذ محمد عبد الجبار، وكتاب (العلامة فضل الله وتحدّي الممنوع) للأستاذ علي حسن سرور، وكتاب (خطاب الإسلاميين والمستقبل) للأستاذ غسان بن جدّو وغيرها.

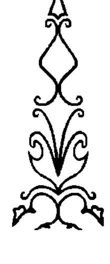
وملاحظتي على كتابَيّ السيد الحسني أنّه عاش الخصوصيّة بشكل واضح، فالكتاب الأول وكان موضوعه الفكر الحركي للسيد فضل الله، ركّز فيه الكاتب على ما كان يدور في الساحة من نقاش ساخن حول الشكل الصحيح للعمل الحركي، وقد طغى هذا الجانب على المواضيع الأخرى.

كما أنّه لم يسلّط الأضواء على كتب السيد الحركية، فقد كان المنتظر أن يعقد فصلاً أو ملحقاً للتعريف بهذه الكتب.

لكنّ ذلك لا يقلّل من قيمة الكتاب كونه أوّل محاولة علمية لدراسة فكر السيد فضل الله.

أما كتابه الثاني فيبدو أنّه عالج هذه المشكلة، فلم يعش خصوصية الموضوع، لكنّ كان من الأفضل أن يعرّف بالمؤسسة الشيعية بشكل أكثر تفصيلا، فقد تناول دور المرجعية لفترة محدودة، وكان الأجدر لو عاد بها إلى زمن أطول، لأنّ المرجعية كمؤسسة لها تاريخ طويل متّصل الحلقات. وأختلف مع الأستاذ الحسني في التسمية التي أطلقها على مشروع السيد فضل الله في المرجعية، حيث سمّاها بالمرجعيّة الشاملة، في حين كان الأدق أن يسميها «المرجعية المؤسّسة» فهذه التسمية أكثر انطباقاً على مشروع السيد فضل الله وحقيقة عمله المرجعي، أما الكتب الأخرى فقد كانت حوارية بشكل كبير، أيّ أنّ الحوار هو الذي غلب عليها، ولم تحظَ الدراسة إلّا بعدد محدود من الصفحات. وفي عدد من الكتب المشابهة التي صدرت عن السيد فضل الله، كانت حوارية بالدرجة الأولى والأخيرة.

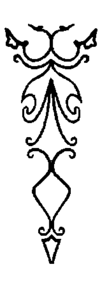
لا أريد أن أقلّل من أهمية كتب الحوار، فهي كعمل له أهميته، لا سيما إذا كان المتحدّث رجلاً مثل سماحة السيد الذي يقدّم لجمهوره المزيد من الثقافة والفكر، ولكنّي أريد أن أنبّه الباحث المسلم إلى ضرورة دراسة السيد محمد حسين فضل الله دراسة مستوعبة، تتناول آفاق مدرسته الإسلامية الأصيلة، وتغور في



أعماق فكره الحركي الواسع، وتتنقّل على مفردات المشروع الحضاري الذي يعمل له.

وهذه هي مَهمّة الباحث الحقيقية والتي أراها غير متحقّقة في كتب الحوار، مع تقديري لكلّ عمل يخدم الأمة ويعمل على تعميق الوعي والتنمية في حركتها.

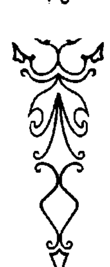






«لا يمكنني أن أُعلّم أحداً أيَّ شيء، ولكني فقط أجعلهم يفكّرون».

سقراط



السيد فضل الله وهموم العاملين



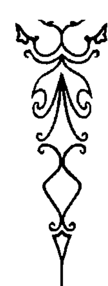
لم تحتلّ هموم العاملين للإسلام اهتمامَ عالِم إسلامي مثلما احتلت اهتمام آية الله العظمى السيد فضل الله، فلقد بذل جهده من أجل أن يسير معهم ويمنحهم ما يحتاجونه من قضايا الفكر والحركية. وتلك ميزة لا نغالي إذا قلنا إنّه تفرّد بها من بين علماء المسلمين الشيعة.



لقد أولى السيد لهموم العاملين وقضاياهم كلَّ وقته وأغلب جهده، وحقّق بذلك إنجازات كبيرة نوجزها بما يلي:

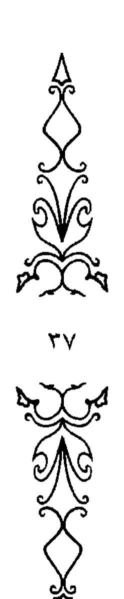
الأول: رصد واقع العاملين

إنَّ السيد فضل الله من خلال معايشته الحقيقية لمعاناة العاملين وقضاياهم، استطاع أن يخدم شؤون العمل الحركي الإسلامي، وأن يقدّم للعاملين الصورة التي يجب أن يكون عليها العمل للإسلام، وأن يعرض واقعهم أمام أعينهم، وهي المَهمَّة التي غفل عنها العاملون أنفسهم؛ لأنّ زحمة العمل لم تُتح لهم فرصة للمراجعة والتقييم. فوقف السيد فضل الله ليرصد ذلك كلّه، فيعرض الصورة التي يمرّون بها كما هي بعيدة عن الانفعال والعاطفة الساذجة، وبذلك أسدى سماحته لكلّ العاملين خدمة جليلة ما كانوا ليحصلوا عليها لولا اهتمامه بهم وبحركتهم.



ويمكن أن نلاحظ هذا الجانب في معظم كتابات السيد الحركية، فمثلاً في الثمانينيات من القرن الماضي كان الحماس الثوري يبلغ درجة عالية تصل حدّ الانفعال، ولم يكتشف العاملون ذلك لأنّهم كانوا في زحمة العمل، لكنَّ السيد فضل الله رصد تلك الظاهرة وغيرها، ووقف ليكتب عنها بكلّ وضوح وحيادية، قائلاً:

«لعلَّ من أبرز الظواهر التي تطبع شخصية الكثيرين من



العاملين للإسلام في هذه الظروف، ظاهرة الانفعالية في الأسلوب العملي، وفي خطوات العمل وفي العلاقات العامة، مما أدّى إلى أن يأخذ العمل نفسه هذا الطابع، ومن الطبيعي أن تؤثّر هذه الظاهرة على نوعيّة الرؤية للواقع وللأشياء وللأشخاص، فيفقد العاملون وضوح الرؤية فتختلط الصورة الحقيقية في العيون وترتبك الخطوات في الطريق لأنَّ الانفعال يُغرق الشخصية في أجواء ضبابية، غارقة بالسِحْر والإغراء في جانب آخر، لأنّه يتعامل مع الإحساس والشعور والعاطفة، ولا يتعامل غالباً مع الفكر والعقل، مما يجعل للسرعة دورها الكبير فيما يُصدره من حكم وفيما يخلقه من انطباع، وفيما يتجه إليه من غايات. وبذلك يفقد الحكم حيثياته الهادئة المتزنة، ويغيب التركيز عن الانطباع في غمار الضباب. وتلك هي بعض ملامح الانفعال العامة في صورته العملية..»[(١)]

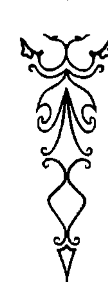
هذا نموذج مما يكتبه آية الله السيد فضل الله للعاملين، فهو ينبههم إلى موضع الخلل في حركتهم، قبل أن ينساقوا بعيداً فلا يمكن حينذاك أن يصحّحوا ما فات أوانه.

وللسيد رحمه الله الكثير من الوقفات التي يضع فيها العاملين أمام أنفسهم وجهاً لوجه، حتى لايكادون يشعرون أنّهم يتحدثون مع أنفسهم، عندما يقرأون كتابات السيد فضل الله.

---

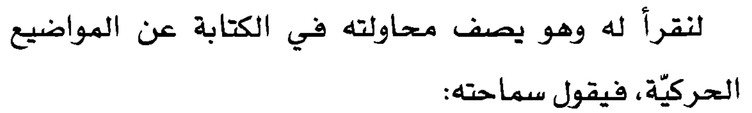
(١) البحث الذي كتبه السيد فضل الله والمنشور في كتاب: آراء في المرجعية الشيعية.





الثاني: إغناء الفكر الحركي

قدّم السيد فضل الله بكتاباته الحركيّة فكراً إسلامياً غنيّاً في المجال الحركي، فهو المؤسّس الرائد لهذا اللون من الفكر الإسلامي، وهو الذي كشف بوضوح أنَّ المكتبة الإسلامية تفتقر إلى مثل هذه الكتابات التي تتسم بالواقعية والميدانية بعيداً عن التجريد النظري. ولأنّه كان رائد هذا الاتجاه، فقد كانت كتاباته تمثل إغناءً للحركة الفكرية في جانبها الحركي.

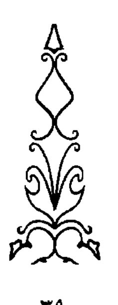


لنقرأ له وهو يصف محاولته في الكتابة عن المواضيع الحركيّة، فيقول سماحته:

«هذه الكلمات لم تُكتب في وقت واحد، ولم تنطلق من فكر تجريديّ ولكنها كُتبت في أوقات متلاحقة ومن موقع الحركيّة الإسلامية في صعيد الواقع الذي عاشته الحركيّة الإسلامية في طبيعتها الذاتية، وفي الأجواء المحيطة بها، وفي التحدّيات الصعبة التي تواجهها على مستوى الشكل والمضمون.

وقد تكون قيمتها فيما نعالجه من قضايا، أنَّها كانت تتحرّك من خلال المشاكل التي أثارتها التعقيدات الفكريّة والعمليّة التي عاشت في ساحة الحركة الإسلامية في مواقع الصراع الداخلي، في اتجاهاتها المتنوّعة، وفي مواقع الصراع الداخلي في الاتجاهات غير الإسلامية من تيارات وقوى وأحزاب.

فقد نلاحظ أنَّ الإسلاميين الحركيّين لم ينفتحوا على الكثير



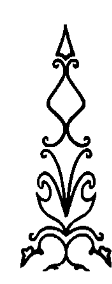
من التحدّيات الصعبة من منطلق الواقع ليواجهوها بطريقة واقعية، بل انفتحوا عليها من منطق الأفكار العامة الكلية، من منطلق المثال، انطلاقاً من المفاهيم الأخلاقية التي كانوا يختزنونها في وعيهم الفكري الإسلامي..».[1]

الثالث: استلهام تجربة المعصومين عليهم السلام

استطاع السيد فضل الله بأبحاثه وكتاباته وأحاديثه الحركية أن يستنطق تجربة أهل البيت عليهم السلام في المجال العملي، فهو رائد هذا المجال في دراسة أهل البيت، إذ يتطرّق في كلّ كتاب من كُتبه إلى الدور الذي مارسه أهل البيت عليهم السلام، وكيف يجب أن نستلهم الدروس من تجربتهم في حياتنا المعاصرة، وهو اتجاه رائد آخر قام به السيد فضل الله، بحيث يمكن أن تشكّل دراساته منهجاً جديداً لدراسة حياة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، وقد عبّر سماحته عن ذلك بقوله:

«لم يكن العمل الإسلامي بِدَعاً من الأعمال.. لنبحث له عن جذور جديدة، أو بالأحرى لنعمل من أجل أن نمدَّ له جذوره في أعماق الحياة، بل هو امتداد للعمل الرسالي الذي تمتدُّ جذوره إلى الأعماق البعيدة في غور التاريخ، لأنّه يرتبط بتاريخ الرسالات والنبوّات الغنيّة بالتجارب العملية في مجال الدعوة،

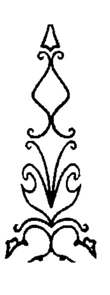
(١) البحث الذي كتبه السيد فضل الله والمنشور في كتاب: آراء في المرجعية الشيعية.



أسلوباً وحركة وجهاداً وتضحية في سبيل الله، ويرتبط بالرسالة الإسلامية في حركتها المنطلقة في حياة الرسول ﷺ، في رسالته وجهاده وتضحيته وطريقته في الحياة وفي أسلوب العمل وطريقة التبليغ وفي حياة الأئمة والصحابة والمجاهدين والعلماء العاملين والدعاة المسلمين في كلّ زمان ومكان». [1]



(١) الحركة الإسلامية هموم وقضايا: ص ٢٩٤.



«حاول ألاّ تكون رجل النجاح، ولكن أن تكون رجل القيم».

ألبرت أنيشتاين



تراث السيد فضل اللّه



هذه بعض ملامح الجانب الفكريّ لآية الله العظمى السيد فضل الله، آثرنا أن نعرض لها بشكل سريع، وندرج فيما يلي قائمةً بمؤلفات سماحته مع الإشارة إلى أنّها لا تشمل الكتب المخطوطة، والكتب التي تحت الطبع والبحوث والدراسات الكثيرة التي نُشرت في المجلات والمؤتمرات الإسلامية.

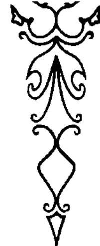


أولاً: الدراسات القرآنية

- أسلوب الدعوة في القرآن.
- الحوار في القرآن.
- من وحي القرآن «٢٥ مجلداً».
- من عرفان القرآن.
- حركة النبوة في مواجهة الانحراف.
- دراسات وبحوث قرآنية.







ثانياً: الدراسات والبحوث الفقهية

- المسائل الفقهية «مجلدان».
- الفتاوى الواضحة. تعليق على الرسالة العملية للسيد الشهيد محمد باقر الصدر.
- فقه الحياة.
- كتاب الجهاد.
- كتاب النكاح.
- القرعة والاستخارة.
- اليمين والعهد والنذر.
- الإجارة.
- رسالة الرضاع.
- فقه الشريعة «٣ مجلدات»

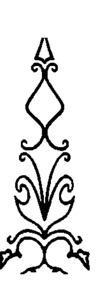


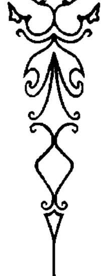


- أحكام الشريعة . ملخّص لفقه الشريعة.
- الصيد والذباحة.
- دليل المناسك.
- المسائل الفقهية.
- فقه الشركة.
- فقه القضاء.
- كتاب الصوم.
- تحدّيات المهجر.
- كتاب الوصية.
- كتاب المواريث.
- قاعدة لا ضرر ولا ضرار.
- كتاب الحج.

ثالثاً: الفكر الإسلامي

- خطوات على طريق الإسلام.
- قضايانا على ضوء الإسلام.
- الإسلام ومنطق القوة.
- الحركة الإسلامية هموم وقضايا.
- من أجل الإسلام.
- أحاديث في قضايا الاختلاف والوحدة.





- أمراء وقبائل.
- اتجاهات وأعلام.
- المدنّس والمقدس.
- صراع الإرادات.
- مفاهيم إسلامية عامة «١٠ أجزاء»
- في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي.
- دنيا الشباب.
- دنيا المرأة.
- تأملات في المرأة.
- قراءة جديدة لفقه المرأة الحقوقي.
- الوحدة الإسلامية بين الواقع والمثال.
- قضايا إسلامية معاصرة.
- أسئلة وردود من القلب.
- المرجعية وحركة الواقع.
- الحوار الإسلامي المسيحي.
- الإسلام وفلسطين.
- الإسلاميون والتحديات المعاصرة.
- الإسلام والمشروع الحضاري.
- تحدّي الممنوع.
- خطاب الإسلاميين والمستقبل.





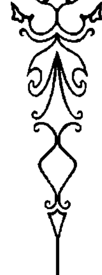
- مع الحكمة في خط الإسلام.
- الندوة... «٢٠ مجلداً»
- الجمعة منبر ومحراب.
- صلاة الجمعة، الكلمة والموقف.
- من وحي عاشوراء.
- كلمة عاشوراء.
- أحاديث كربلاء.
- تأملات في آفاق الإمام موسى الكاظم عليه السلام.
- في رحاب أهل البيت.. مجلدان.
- آفاق إسلامية.
- في رحاب الدعاء.
- الإنسان والحياة.
- حوارات في الفكر والاجتماع والسياسة.
- رؤى ومواقف «٣ أجزاء».
- آفاق الروح ... مجلدان.
- في رحاب دعاء كميل.
- في رحاب دعاء مكارم الأخلاق.
- في رحاب دعاء الافتتاح.
- مع روحانية الزمن.
- الزهراء القدوة.
- عليٌّ ميزان الحق.



رابعاً: المجاميع الشعرية

- يا ظلال الإسلام «رباعيات».
- قصائد للإسلام والحياة.
- على شاطئ الوجدان.
- في دروب السبعين.





- محاضرات ومفاهيم

١. الأخلاقيات الطبيّة وأخلاقيات الحياة.

٢. تحدّيات الإسلام بين الحداثة والمعاصرة.

٣. الإسلام وقدرته على التنافس الحضاري.

٤. الإسلام والمسيحية بين ذهنية الصراع وحركية اللقاء.

٥. التوبة.. عودة إلى الله.

٦. المرجعية وحركة الواقع.

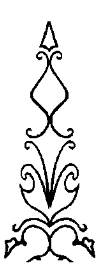
٧. رسالة الحج.

٨. مسائل عقائدية.

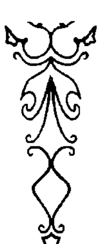
٩. الحوار بلا شروط تمرّد على حالة الخوف.

١٠. الزهراء المعصومة أنموذج المرأة العالمي.

١١. ١٠٠ سؤال وجواب ... ٥٩ جزءاً.







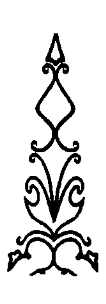
«وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنّهم حجتي عليكم وأنا حجة الله».

إمام العصر (عج)

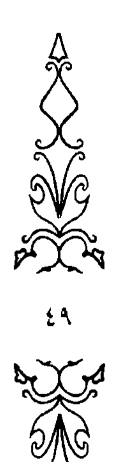
الفصل الثاني

مشروع المرجعية المؤسسة في فكر السيد فضل الله









تتشابه مرجعية آية الله العظمى السيد فضل الله وآفاقه **للمرجعية المؤسسة** ، إلى حدّ كبير مع مرجعية الإمام الشهيد السيد **محمد باقر** الصدر «رضوان الله عليه». ووجه التشابه يكمن في **أنّ كلّ** واحد منهما، كانت مرجعيته نتيجة حاجة **الأمة إليها. فالشهيد** الصدر لم يتصدَّ للمرجعية إلّا بعد أن أتت **إليه قطاعات من الأمة** تريد مرجعيّته، وهنا شعر أنّ الظروف **الاجتماعية والسياسية** تُحتِّم عليه أن يتصدّى للمرجعية. لذلك **عندما تصدّى للمرجعية** تعامل معها على أنها مسؤولية وحالة **إسلامية يجب أن** تتعمّق في الأمة، وأن تسير وفق مشروع **إصلاحي جديد، وهذا** ما طرحه في مشروع المرجعية الصالحة **والموضوعيّة.**

وكذلك السيد **فضل** الله فإنّه لم يتصدّ للمرجعية إلّا بعد أن كانت **السّاحة بحاجة** إلى المرجعيّات الواعية الحركيّة التي **تستطيع أن تقف في** مواجهة التحدّيات الكبيرة والمتنوّعة التي **يتعرّض لها الإسلام** والمسلمون في مختلف مناطق العالم **الإسلامي.**

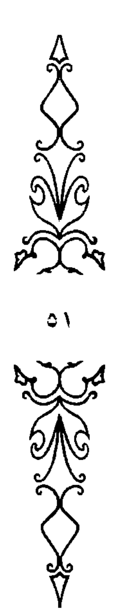
وعليه **فإنّ مرجعية** السيد رحمه الله كانت حاجة ميدانية فرضتها **الظروف الاجتماعية** والسياسية.

وقد كان السيد فضل الله قبل تصديه للمرجعية يمتلك تصورات واضحة حول سُبُل تطوير المرجعية، وضرورة النهوض بها في مشروع إصلاحي تجديدي يجعلها بحجم التحدّيات التي تواجهها الأمة وبضخامة المسؤوليّات التي تتصل بموقعها الكبير في حياة الأمة.

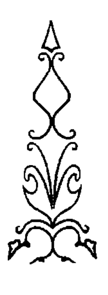
إنّ المرجعية ليست موقعاً تشريفياً ولم تكن كذلك على مرّ العصور، وهي ليست شأناً شخصيّاً يختص بشخصية المرجع، بل هي موقع عام مسؤول يتحمّل المرجع فيه مسؤوليّة الأمة بكلّ تفصيلات هذه المسؤوليّة السياسيّة والاجتماعيّة والفكريّة، ومسؤوليّة الإسلام في آفاقه الحضارية الكبرى. فلا يكفي أن يكون المرجع ذلك الشخص الذي يجلس للفُتيا وقبض الحقوق الشرعية، بل أصبح موقع المرجع يحتّم عليه أن يكون في مقدّمة الأمة، واعياً لكلّ ظروفها المختلفة وبالقدرة التي تمكّنه من متابعة الأحداث والتأثير عليها، وقول كلمته الحاسمة التي تحدّد للأمة مساراتها وللمجتمع آفاقه.

لقد رسم هذه الأبعاد وغيرها سماحة السيد فضل الله في العديد من المناسبات منذ فترة طويلة، ثم عاد فأكّدها على امتداد العقدين الأخيرين. والذي دعاه إلى ذلك حسب تصورنا، أنّ المرجعية واجهت تحدّيات مختلفة على صعيد الممارسة والمفهوم.

وسنعرض في هذا الفصل خلاصة ما كتبه سماحة السيد فضل الله حول موضوع المرجعية، وذلك للأهمية العلمية التي تتسم بها أفكاره في هذا المجال، وقد وردت الأبحاث التي كتبها سماحته في كتاب «آراء في المرجعية الشيعية»، الذي أصدرته الملحقية الثقافية لسفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية في دمشق.

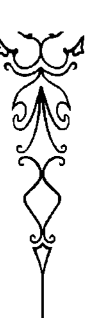






«الكثير من التعليم لا يمنحنا أسلوب التفكير».

هيراقليطس



المرجعية الدينية أمام الاتجاهات الفقهية

هل تمثّل المرجعية الدينية - في نطاقها الشرعي - المرجعية في الفُتيا والقضاء، فليس للمرجع أن يتدخّل في الشؤون العامة للناس من موقع الشرعيّة المُلزمة التي يملكها في موقعه، بل يقتصر على شؤون الفقه والقضاء، أو أنها تمثّل المرجعية العامة التي تجعل منه مُفتياً وقاضياً وحاكماً عاماً للناس، بحيث يَنْفُذُ حكمه في الأحكام والخصومات والموضوعات؟

هذا سؤال لابدّ لنا من طرحه، لنحدّد الجواب عنه من خلال الآراء الفقهيّة المختلفة في صلاحيات المجتهد فيما يجب على الناس الالتزام به ولذا، في هذا المجال هناك اتجاهات فقهية ثلاثة:

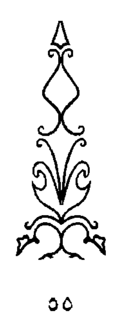
الاتجاه الأول: إنَّ الفقيه نائب الإمام - في النظرية الإمامية - يملك من السلطات ما يملكه الإمام - إلاّ ما ثبت اختصاصه بالإمام. فله حقّ الفُتيا في القضايا الشرعيّة،

وللعوام أن يقلّدوه في ذلك، وله حقٌّ القضاء بين الناس، فلهم الرجوع إليه في خصوماتهم، وعليهم الالتزام بحكمه حتى لو كانوا من الفقهاء الذين يختلف رأيهم الفقهي عن رأيه.

وله حقٌّ الولاية على الناس، فيجب عليهم الالتزام بكلّ أحكامه في شؤونهم العامة والخاصة التي تتحرّك في دائرة النظام العام الخاضع للحاجة إلى السلطة الحاكمة التي تدير شؤون البلاد والعباد، وهذا هو المعروف بولاية الفقيه.

الاتجاه الثاني: إنّ الفقيه يملك سلطة الفُتيا والقضاء، ويملك إصدار الأحكام في الموضوعات العامة أو الخاصة فينفذ حكمه فيها، كما ينفذ حكمه في القضايا الشرعية، ولكنّه لا يملك الولاية العامة، فيكون موقع حكمه في الموضوعات التي تحتاج الأمة إلى إثباتها بحكم الحاكم كثبوت الهلال ونحوه، كما هو حكمه في باب القضاء، فينفُذ على الناس جميعاً سواء أكانوا مجتهدين أم مقلِّدين، وهذا هو المعروف بحجيّة حكم الحاكم في الأحكام أو الموضوعات.

الاتجاه الثالث: هو الذي يسلب عن المجتهد سلطة إصدار الأحكام في الموضوعات، فليس له الحقُّ في ذلك، ولا يجب على الناس إطاعته فيها، فلو أصدر حكماً في ثبوت الهلال في شهر رمضان، فلا يجب على الناس - حتى إذا كانوا مقلِّدين له - الصيام، لأنّ حكمه ليس حجة عليهم، إلّا اذا أوجب لهم الاطمئنان الذاتي.



إنّنا نلاحظ «في هذا الاتجاه الأخير» اقتصار دور المرجعية على الفتيا والقضاء، فلا تتعدّاه إلى غيرهما إلاّ في دائرة الولاية على شؤون القاصرين والغائبين، وبعض الموارد الخاصة كالأوقاف ونحوها، ومما يدخل في دائرة الأمور الحسبية التي نقطع بأنّ الله لا يرضى بضياعها، بل يريد للناس كلّهم أن يقوموا بها بنحو خاص. وربّما جعل بعض الفقهاء الذين يلتزمون هذا الاتجاه، الولاية للفقيه على إقامة الحدود بين الناس ليكون موسعاً لمركز القضاء، فيكون له السلطة على الجانب التنفيذي بالإضافة إلى سلطة إصدار الأحكام.

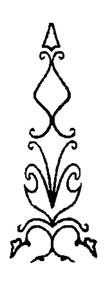
وفي ضوء ذلك لا مجال للمرجعية الدينية العامة في موقع المجتهد، حتى لو كان يملك المرجعية في التقليد، فليس له التدخّل في الشؤون العامة للناس من موقعه المرجعي، بل يكون رأيه مجرّد رأي شخصي، كبقية الآراء عن الأخرين الذين لا يملكون أيّ موقع ديني عام، فللناس أن يقبلوه أو أن يرفضوه، تَبَعاً لما تفرضه قناعاتهم من ذلك.

أما في الاتجاه الثاني، فقد نجد له موقعاً أكثر فاعلية في الشؤون المتصلة بحياة الناس، لكنّ ذلك يبقى في دائرة الموضوعات التي تحتاج إلى الإثبات - في غير باب الخصومات - مما يملك فيه الحاكم الشرعي وسائل ثبوته، فلا يتعدّاه إلى التدخّل في شؤون الناس من موقع السلطة العامة التي تفرض عليهم التزاماً سياسياً

أو اجتماعياً أو عسكرياً، فيما لا يقتنعون به أو يرفضونه، وفي ضوء ذلك فانّ مرجعيته تتصل بدائرة حُجيّة رأيه في الإثبات في الموضوعات العامة، فلا تقتصر على جانب الحجية في الإثبات في باب القضاء.

ويبقى الاتجاه الأول هو الاتجاه الوحيد الذي يجعل من الفقيه مرجعاً إسلاميا عاماً، إذا كان مؤهّلاً للتقليد، بحيث كان جامعاً لشروطه، لأنّه يمثّل القيادة الإسلامية التي تملك سلطة القرار في الشؤون العامة للمسلمين، كما تملك سلطة التنفيذ، سواء أكان ذلك في حدود النظرية التي تجعل ولاية الفقيه متسعة لكلّ ما تتسع له ولاية النبي والإمام في صفة الحاكمية، أم التي تجعل لها حدوداً ضيّقة تختلف عنهما في بعض المواقع، فيما قد يكون لخصوصية النبوة والإمامة بعض المميزات في ذلك، كما يذكره بعض الفقهاء في الجهاد الابتدائي.

وفي هذا الاتجاه يمكن للمجتهد الفقيه أن يعمل على التحرّك في الأمور العامة خارج نطاق الدولة في المناطق التي لا يحكمها الإسلام في شريعته الشاملة، كما يعمل على التخطيط له لبناء الدولة بكلّ الوسائل الشرعية المطروحة بين يديه، فيكون قائداً في الحرب وحاكماً في السلم، ومرجعاً في الأمور الجزئية والكلية التي تحتاج إلى قرار شرعي حاسم.



«من تعصَّب، أو تُعصِّب له، فقد خلع رِبْقَةَ الإسلام من عنقه».

حديث شريف

مشكلة المرجعية

إنّ مشكلة المرجعية في كلِّ تأريخها أنّها كانت شخصاً، فكانت تعتمد على مستوى هذا الشخص، وعلى مبادراته، وعلى سعة أفقه والظروف والأشخاص المحيطين به، ومن هنا، فإنّنا في الوقت الذي نؤكّد أنّ المرجعية في كلّ تاريخها قامت بمبادرات مهمة في الدائرة الشيعية، وأنّها حفظت التشيّع بطريقة أو بأخرى، لكنّها لم تفكّر بأن تتحمّل مسؤولية التشيّع أمام كلّ المتغيّرات الواقعية على المستوى السياسي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي، وعلى مستوى التطوّرات التي انطلقت في العالم.

إنّنا نعتقد أنّ المرجعية مع كلّ احترامنا للأشخاص الذين يتحرّكون في دائرتها أو يشرفون عليها أو يقودونها، لا تستطيع أن تواجه تطورات العصر.

ولذا فهي تعيش انكماشاً في دائرتها الخاصة في نطاق

الفتاوى، أو في نطاق بعض الأعمال التي تتحرّك هنا وهناك.

لهذا علينا أن نفكّر في ضرورة أن تتحوّل المرجعية إلى مؤسسة دون أن تفقد العناصر الذاتية التي تفرضها الخطوط الشرعية فيمن يجب أن يكون المرجع وفي طبيعة ارتباط الأمة بالمرجع.

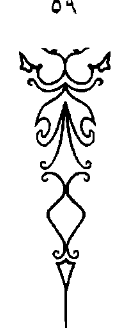
ثمّة واقعٌ في المرجعية يجعل الإسلام خاضعاً في ظروفها وإمكاناتها، بحيث تكون ظروف وإمكانات الإسلام هي ظروف القيادة وإمكاناتها، بدلاً من أن تكون القيادة خاضعة للإسلام، بحيث تكون ظروف الإسلام هي التي تحدّد للقيادة ظروفها وحركيّتها.

نحن نعرف بأنّ الإسلام هو دين الله، وأنّ عظمة الرسولﷺ هو أنّه بلّغ رسالة الله، وأراد أن يكون الدين كلّه لله، لذلك كان الرسول هو خادم الدين، ولم يكن الدين خادماً للرسول، فالله لم يرسل الإسلام ليكون وظيفة تعطى للرسول. والله لم يرسل الإسلام ليكون حالة خصوصية للرسول، وإنما أرسل الرسول وشرّع القيادة لمن بعده من أن يكونوا في خدمة الإسلام، من أجل أن يكونوا دعاة وقادة الإسلام، ولذا فالإسلام يأتي أولاً، والقيادة تأتي ثانياً.



«إنّ الشخص الذي لا يغيّر من أفكاره، مثل الماء الساكن، ويصبح عقله راكداً».

وليام بلاك



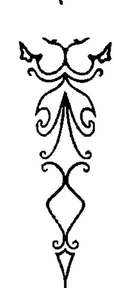
سبب واقع المرجعية الحالي

ولعلّ السبب الرئيسي يكمن وراء مشكلة المرجعية هو أنّ المرجع نتاج الحوزة من جهة، ونتاج الظروف الموضوعيّة المحيطة بالمؤثرات الداخلية التي تحكم ذهنيّته من خلال بعض التأثيرات التي تحيط به من الخارج، أو من خلال الظروف الموضوعية التي قد تحكم كثيراً من خطوطه الفكريّة التي يتحرّك من خلالها في هذا الواقع، أو من خلال عبقريته الخاصة التي تجعله يتجاوز بيئته من جهة أخرى.

ولذلك كانت حركة المرجعيّات بين مدّ وجزر، فهناك مرجعيّات استطاعت أن تنفتح على الواقع الإسلامي بحجم الظروف التي كانت تعيشها، ولذلك كانت مرجعيتها تعطي بعض اللمعات والإضاءات في كثير من مراحل الواقع الإسلامي.

بينما نجد أنَّ هناك مرجعيات انكمشت انكماشاً شديداً حتى كان يُخيَّل للناس أنّها غائبة تماماً عن كلِّ شيء في الواقع.

فيما عدا العلاقات الفقهية المباشرة بينها وبين الناس في المسائل التقليدية، لدرجة أنّها لا تشارك حتى في القضايا الثقافية العامة التي تُطرح فيها الأفكار في مستوى الفعل أو ردّ الفعل في ساحة التحدّيات للإسلام ولأهله.

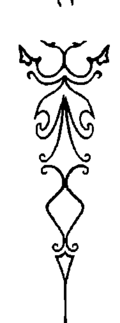


وهذه هي المشكلة التي عاشها الواقع الإسلامي الشيعي في الارتباكات التي كانت تحدث بين الطلائع الإسلامية التي تحاول أن تنفتح على الواقع بطريقة حركية أو بطريقة ثقافية منفتحة، أو من خلال توسيع الساحات التي يتحرّك فيها الإسلام في هذا الموقع أو ذاك الموقع، فقد كانت تُواجَه من بعض المرجعيات إهمالاً، أو سكوتاً، أو إبعاداً، أو موقفاً مضاداً في هذا أو ذاك المجال. ولذلك، فإنّنا نتصور أنّ الواقع الإسلامي الشيعي، الذي استطاع أنْ يجد في مرجعية الإمام الخميني الصدمة الكبيرة لكلّ الأوضاع المتخلّفة التي عاشها الارتباك الذي يتخبط فيه، لا يزال هذا الواقع خاضعاً لكثير من المؤثّرات السلبية هنا وهناك، بفعل فقدان الخطّ البياني المتحرّك بطريقة تصاعدية منظّمة، لأنّك عندما تلتقي بمرجعية رائدة، فإنّها قد تخلفها مرجعية عادية جداً قد تجمّد تلك الروح التي كانت قد انطلقت أو تحرّكت.



«حلالُ محمّدٍ حلالٌ إلى يوم القيامة، وحرامُ محمّدٍ حرامٌ إلى يوم القيامة».

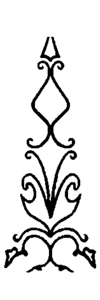
حديث شريف



المرجعية مواكبة للحياة

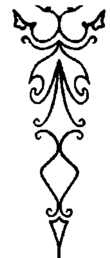
عندما نريد دراسة حركة المرجعية في صيرورتها التاريخية، فإنّ علينا أنْ نفهم طبيعتها وطبيعة المضمون الذي يحكمها من خلال النظرة الاجتهادية الإسلامية في خطّ أهل البيت عليهم السلام. فالمرجعية شغلت، في نشأتها وصيرورتها، مركز النيابة عن الإمام، لأنّ الله لا يترك الأرض خالية من الحجّة، سواء كانت الحجّة حجةً أوّلية فيما تعطيه النبوّة أو الإمامة من أصالتها، أو كانت حجة ثانوية فيما تتحرّك فيه الإمامة لتمنح العلماء امتداداتها من خلال امتدادات كلّ المفاهيم التي تتحرك في الحياة، سواء في المضمون الفكري الذي يغني الذهن بالإسلام عقيدة وفقهاً ومنهجاً وقاعدة للحياة، أو في المضمون الحركي الذي يدفع بالإسلام إلى صعيد الواقع.

من هنا، شكّلت المرجعية الحُجَّةَ الثانوية لغياب الحجة الأصيلة التي ابتدأت مع غياب قائم آل محمد عليهم السلام الإمام



المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

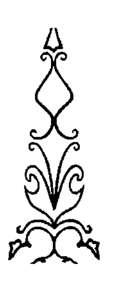
وإذا كانت المرجعية في نظرنا تمثّل مركز النيابة عن الإمام، فهذا لا يعني أننا نؤمن بعصمة المراجع، ولكننا نعرف جيداً أنّهم يتحركون في خط العصمة حتى إذا أخطأوا من خلال نقاط الضعف الإنساني، أخطأوا من حيث يريدون الإصابة ومن حيث يجتهدون بكلّ معاناة المجتهد في الوصول إلى خطّ الصواب.



لذلك التقت الأمة على محبتهم من حيث التقت على تقليدهم، التقت الأمة عليهم لأنّهم كانوا يمثّلون الرسالة التي تؤمن بها الأمة، من خلال ما يتجسّد فيهم من روحية الرسالة ومعناها ومضمونها، ونحن نعرف أنّ المرجعية في واقعنا الإسلامي في أجواء خط أهل البيت عليهم السلام، لا تصدر بمرسوم من حاكم ولا بفعل التصويت، بل إنّ الأمة تلتقي بالمرجع كما تتنفس الهواء، وكما تشمُّ العطر، وكما تلتقي بكلّ المعاني وهي تتحرّك بالطريق.

المرجع يولد فجأة، لا بمعنى أنّك فجأةً تشعر أنّه كان مخفيّاً وظهر، ولكنّ مرجعيته تنطلق في العقول من خلال علمه، وفي القلوب من خلال تقواه، وفي الواقع من خلال حركته.

يشير شخص إلى شخص، هذا يملك علماً كبيراً، ويشير آخر إلى آخر، هذا يملك عدالة عظيمة، ويتحرّك شخص آخر، هذا يملك رشداً، وينطلق ويبقى ويتحرّك، وهو لا يستمع كثيراً إلى الكلمات، ولكنّ الكلمات تأتي لتخترقه، لتقول له:



لا خيار لك، كن أنت المرجع، أو كن أنت مع بعض إخوانك في طبقة تلك المراجع، والمرجعية ليست مجرّد منصب يقدّم الفُتيا للناس هنا وهناك، بل هي في كلّ أبعادها تمثّل حركة الاجتهاد في حركة الإسلام في الزمن.

إنّ المرجعية.. قيمتها أنّها ترافق حركة الحياة في حاجاتها وحركة الحياة في مشاكلها وكلّ قضاياها لتعطي لكلّ واحد منها حكماً ينسجم مع حاجاته.

إنّ الحكم لا يتغيّر ولكنَّ فهم الحكم قد يتغيّر، وفهم حركة الحكم قد يتغيّر، والموضوعات تتغيّر ويتغيّر الحكم بتغيّرها.

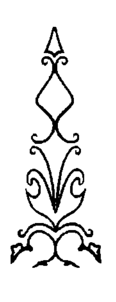
أحد أبرز ما قام به الإمام الخميني «رضوان الله عليه» أنّه منح المرجعية هذا الأفق الواسع، فهو رأى أنّ مسألة الحكومة الإسلامية، تعني حركيّة الإسلام في نظام الحياة وفي نظام الناس بشكل شامل، لقد رأى فيها قضية الحياة. وإذا كانت المسألة، بحسب الفقه الإسلامي الشيعي، انطلقت من خلال القيادة الواحدة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم بالنسبة للأئمة عليهم السلام، فإنّها لابدّ أن تتحرّك في هذا الخط على المستوى الشمولي الذي كان يحدث، لذلك فليس هناك فرق بين مهمة الفقيه العادل المؤهّل للقيادة من خلال العناصر الأساسية وبين مهمة الإمام، وإنْ لم يصل هو إلى مرتبة الرسول أو إلى مرتبة الإمام، مما يجعل مسألة المرجعية تتسع حسب اتساع مسألة الإسلام، ومسؤوليّاتها

تكبر حسب مسؤوليات الإسلام، فليست هناك حدود لمسؤوليات المرجعية ما دام الإسلام لا يعيش مثل هذه الحدود. ومن هنا، يمكن أن نلاحظ أنّ موقع المرجعية في نظر الإمام الخميني «رضوان الله عليه»، هو موقع الإسلام في كلّ المجالات، فلا بدّ أن تتحرّك حيث يتحرّك الإسلام، وهذا هو الذي يجعل المرجع المؤهّل للقيادة وللولاية منفتحاً على الحياة متحمّلاً مسؤولية شاملة تجاه كلّ ما فيها من وقائع وأحداث وتحديّات وآفاق.



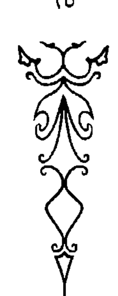
أما الشهيد السيد محمد باقر الصدر «رضوان الله عليه»، فإنّه في أُفقه الإسلامي الواسع، ليس بعيداً عن هذا الخط، فقد لاحظنا كيف استقبل الثورة الإسلامية ونجاح الإمام الخميني في قيادته بالكلمات الرائعة التي أطلقها في ضرورة الذوبان في مرجعيّة الإمام الخميني، لأنّه يلتقي بهذا الأفق الواسع الذي انطلق منه الإمام الخميني «رضوان الله عليه».

وحاول أن يتحرّك في هذا الخطّ في رسالته «الإسلام يقود الحياة» ولكنّه، عندما تحدّث عن المرجعية، كان يتحدّث عن المرجعية فيما سمّاه المرجعية الرشيدة في مسألة الجانب التنظيمي والإداري للمرجعية، ولم يكن يبحث من خلال طبيعة مسؤولياتها الإدارية، بتعبير آخر، أنّه كان يريد أن يحدّد الوسائل العمليّة لتتحرّك المرجعية كمؤسسة ولا تبقى كشخص.



«تُعدُّ المناقشة تبادلاً للمعرفة، أما المجادلة فهي تبادل للجهل».

روبرت كويلن



الواقع الشيعي وواقع المرجعية

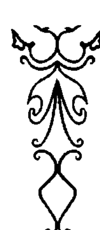
إنّنا نلاحظ أنَّ العصر قد تطوّر، وأنّ المراكز الدينية في العالم، سواء على مستوى المسيحية أو على مستوى اليهودية، أو على مستوى المسلمين من غير الشيعة، أصبحت تملك مواقع في الإطلالة على الواقع الثقافي والاجتماعي والسياسي في دوائرها الخاصة وغير الخاصة.

كما أنَّ الشيعة بفعل التطوّرات والمتغيرات التي حدثت في مواقعهم، وبفعل الآفاق الجديدة التي انفتحت عليهم والتي انفتحت لهم، أصبحوا يمثّلون حجماً كبيراً يستطيع أن يشارك في كثير من القضايا، كما أنّه أصبحت لهم حاجات سياسية واقتصادية وثقافية وما إلى ذلك مما يفرض على المرجعيّة أن تتطوّر في انطلاقاتها وفي شروطها تَبَعاً لتطوّر الواقع الذي تتحرّك فيه.

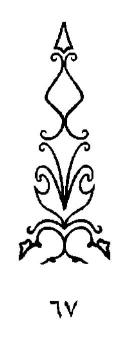
ولكنّ الواقع الذي نعيشه أصبح أكبر من المرجعية في طبيعة



خصائصها وظروفها وطريقة تكوينها بكثير، بحيث إنّ المرجع الذي يُراد له من خلال عنوانه أن يُشرف على كلّ شؤون الشيعة، تحوّل إلى مجرد شخص مفتٍ لا يتصرّف في الشؤون الشيعية إلّا بطريقة حَييَّة خجولة متواضعة.



إنّنا نلاحظ أن الواقع الشيعي هو أكبر بكثير من واقع المرجعية، وإنّنا نخشى أنّ هذا الواقع قد يتطوّر إلى مجال أوسع بحيث تفقد المرجعية معناها عنده، لأنّ المرجعية لم تستطع أن تُرجع هذا الواقع إلى الوراء، ولهذا لابدّ من التفكير بهذه المسألة بكثير من الخطورة، لأنّ المسألة، فيما نلاحظه، بالواقع أخطر مما يتصوّره الكثيرون.



وإذا الفكرةُ الكبيرةُ أرخت كفَّها ضيّعتْ لها مضماراً
وعظيمٌ أن يبدأ الفكرُ حرفاً بالشواطي ليستضيفَ البحارا

حسين الشامي

المرجعية المؤسسة ..
المبرّرات والدوافع

ترتكز هذه الرؤية على قراءة خاصة لمضمون المرجعية وموقعها، وهذه القراءة ترى كما أثرنا ابتداءً، أنّ المرجعية الإسلامية الشيعية، تستبطن في اللاوعي الشيعي، آفاقاً واسعة جداً.

فالمرجع هو نائب الإمام ووجوده يسدّ فراغ الإمام في مختلف الجوانب الروحية والفكرية والسياسية والاجتماعية، بحيث لا يعيش الناس فراغ القيادة في أيٍّ جانب من الجوانب، سواء كان ذلك في دائرة القضايا التي تتحرّك في داخل الوضع الإسلامي الشيعي، أو داخل الوضع الإسلامي العام، أو في القضايا العالمية المرتبطة بالواقع الإسلامي.

عندما نجد أنَّ الكلمة تستبطن كلّ هذه الآفاق، فمن الطبيعي

أن لا يكون المرجع مرجعاً في الفُتيا فقط، أو مرجعاً في القضايا التي تعيش على هامش الفتيا كالحقوق الشرعية وأمور القاصرين وما إلى ذلك، مما اعتاد الفقهاء أن يتحدّثوا عنه كموقع للمجتهد أو كموقع للمرجع، أو مسألة القضاء التي يعتبرها الفقهاء من صلاحيات المرجع أو صلاحيات المجتهد.

إنَّ المرجعية الإسلامية الشيعية قد تحتاج في ظروفها المحدودة أو في طبيعة أوضاعها الخاصة، إلى أن تتحرّك في دائرتين.

الدائرة الأولى: هي ألاّ تكون المرجعية شخصاً بحيث يرث أولاده تراثه وتجربته، أو أن تكون أجهزته خاضعة لخصوصيّاته، بل أن تكون المرجعية مؤسسة بحيث إنّ المرجع عندما يأتي، يأتي إلى مؤسسة تختزن تجارب المراجع السابقين، وتكون كلّ الوثائق التي تمثّل علاقات المرجعيّة بالعالم وتجاربها وخصوصيات القضايا التي عالجتها، حتى في مسألة الاستفتاءات والأسئلة والأجوبة متوفرة للمرجع الجديد، الذي يجد كلّ هذه التجارب جاهزة في مؤسسة المرجعية، ليبدأ من حيث انتهى المرجع السابق، لا ليبدأ بعيداً عن كلّ التجارب السابقة.

وفي هذا المجال فلا مانع أبداً في أن يكون للمرجع معاونون يختارهم، ولكن على أن لا يكونوا هم كلّ المؤسسة، بل أن يكونوا المعاونين الذين ينسجم معهم في دائرة و إطار المؤسسة.



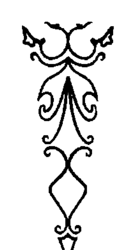
هذا من جهة، ومن جهة ثانية، لابدّ للمرجعية أن تُطِلَّ على قضايا العالم، ولو من ناحية اتخاذ المواقف السياسية أو الثقافية أو الاجتماعية التي تهمّ كلّ مواقع المرجعية، أو ما تمتّد إلى أبعد من هذه المواقع وتؤثّر بها سلباً أو إيجاباً.

وهناك نقطة ثالثة في هذا المجال وهي مسالة أن يتحرّك المرجع في أنحاء العالم وألاَّ يبقى في موقعه بعيداً عنه. فلا بدَّ للمرجع، تبعاً لظروفه الخاصة والمرحلة التي يعيش فيها، أن يُطلَّ على مواقع الناس لينفتح عليهم وليهتمّ بشؤونهم.

ولا ريب، أنَّ هذا هو الذي يمكن أن يحقّق للمرجعية حيويّتها وحركيّتها التي تصبح بها عنصراً فاعلاً في حياة كلّ الناس الذين ينتمون إليها ويتّبعونها ويتّخذون مواقف منها. ومن الطبيعي أنّ الجوانب التنظيمية في هذه المؤسسة لابدّ أن تخضع لتخطيط معين بحيث تتكامل كلّ المواقع في داخل الموقع الكبير.

إنّ طبيعة تحدّيات العصر، وشمولية قضاياه، والأوضاع والمتغيّرات التي تتحرّك بين يوم وآخر، والحيرة التي يعيشها الناس فيما هو تكليفهم الشرعي في كلّ القضايا التي تتصل بحياتهم السياسية والاجتماعية، تحتاج إلى أن تخرج المرجعية من عزلتها، وأن يكون المرجع إنساناً منفتحاً على الإسلام كلّه، وعلى العالم بكلّ متغيّراته التي تتحرّك في ساحته لا بالثقافة فحسب، وإنّما بالموقف أيضاً..





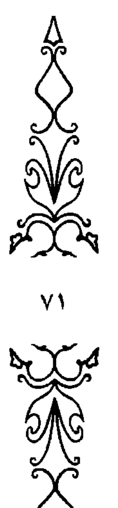
إنّ المرجعية تحتاج إلى ذهنيّة واسعة سعة المسؤولية التي تتحرّك فيها بعنوان كونها نيابةً عن الإمام، ولا بدّ أنْ تنطلق من خلال مؤسّسات تتحرّك في نطاق المؤسسة الكبرى. فالمرجعيّة يجب أنْ تضم الخبراء في سائر القضايا التي من الواجب التصدّي لها. كما يجب أنْ تضم الدراسات التي تحتاج إليها، ولا بدّ أن تكون ممثليّات المرجعية ممثليّات قادرة على إيجاد الحضور الحيوي للمرجعية في هذا البلد أو ذاك، وهي في ذلك، يجب أن تكون مشابهة للمنظمات الإقليمية والدولية وما إلى ذلك.

ونحن نلاحظ أنَّ هناك نوعاً من التخطيط الدولي الذي يتحرّك من خلال بعض المواقع الإسلامية ومن خلال بعض الدول التي تتبنى بعض المذاهب الإسلامية المضادّة للتشيّع.

نحن نلاحظ أنّ هناك حملة ضد الشيعة تصل حدَّ التكفير، وهذه الحملة مرتبطة بأخطبوط الاستعمار الدولي، وبالحراس السياسيين في الدول الإسلامية لحركة هذا الاخطبوط في الواقع الإسلامي.

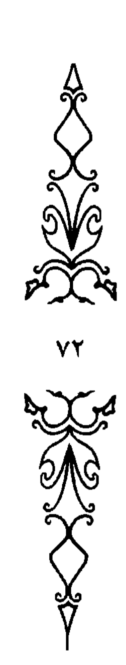
إنّ من أوّل واجبات المرجعية مواجهة هذه الحملة بالوسائل العصرية الحديثة التي لا تجعل المسألة مسألة انفعال، ولكنها مسألة تخطيط طويل الأمد ينفتح على القضايا الفكرية المذهبية بما يتلاءم مع الأجواء الثقافية المعاصرة.

ومن الطبيعي أنَّنا عندما نتحدّث عن الواقع السياسي في



العالم، فإننا لا بدّ أن ندرس في كلّ مرحلة ظروف المرجعية وقدراتها على تحريك الشارع الإسلامي في مسائل التحرّر الداخلي والخارجي ومدى الإمكانات التي تملكها في هذا السبيل أو ذاك من خلال النماذج التي عاشتها المرجعيات السابقة في إطلالتها على الواقع السياسي بنسبة معينة أو بنسبة كبيرة، مما يجعل المسألة السياسية مسؤوليتها بشكل وبآخر.

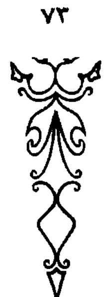
المرجع يجب أن يكون شخصاً منفتحاً على العالم كلّه من خلال انفتاح الإسلام على العالم، وشخصاً واعياً للأحداث يتابعها يومياً حتى في صغريات أمورها من خلال الدراسات والتقارير التي تُقدّم إليه، أو من خلال الممارسة المباشرة لذلك.


٧٢



«إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلّت موعظته، كما يزلُّ المطر عن الصفا».

الإمام جعفر الصادق عليه السلام



الكوابح والعقبات أمام أطروحة المرجعية المؤسسة

الكوابح التقليدية

هل إنّ إحداث نقلة في واقع المرجعية متيسّرٌ الآن أم دونه كوابح وعقبات؟

في الحقيقة، ربما كانت الظروف الموضوعية الحاضرة التي تمرّ بها المرجعية الشيعية، لا تحمل في طياتها إمكان حدوث انطلاقة لتجديد حركة المرجعية في الشكل والمضمون والامتداد، بحيث تختزن في داخلها شمولية القيادة وحركيّتها وفاعليّتها وامتدادها في كلّ موقع للإسلام فيه قضية وفكر وحركة وهدف.

ثم إن الاتجاه الفكري الشيعي في مضامينه الفقهية لا يزال

يركّز على مسألة الفقه والأصول في الصفة المميزة للمرجع الذي يكون في الدرجة العليا من هذا العلم.

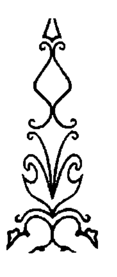
أما مسألة الانتخاب والشورى الخاضعَيْن للدراسة الواسعة، فإنّها ليست واردة في الحساب، لأنّك قد تصطدم بشخص أكثر علماً ولكنّه لا يملك أبعاداً واسعة.

وقد تملك شخصاً يمتلك أبعاداً واسعة، ولكنّه لا يساوي الشخص الأخر في الدرجة نفسها من العلم، أو لا يعتقد الآخرون به مثلما يعتقدون في الشخص الاخر، لو كانت كفاءة واقعية في هذا المجال، لكنّ يبدو أنّ الساحة الشيعية، سواء على مستوى الحوزات العلمية أو على مستوى الواقع الشعبي، لا تملك واقعية عملية في هذا المجال.

لا ريب أنّ هناك تململاً كبيراً موجوداً في الحوزات العلمية، ناتجٌ في مجمله عن وجود بعض العناصر السلبية في هذا المرجع أو ذاك، أو إلى انكفاء المرجعيات غالباً عن حاجات العصر، وعن الاستجابة لكلّ علامات الاستفهام التي يثيرها العصر في تحدّياته.

الصراع بين القديم والجديد

وثمة موانع أخرى في الواقع، تكمن فيما تكمن تسميته عُرفاً بالصراع ما بين القديم والجديد. فمن الطبيعي أنّ هناك نوعاً من أنواع التراكم التاريخي الذي يجعل الناس يشعرون بقداسة



التاريخ، وبقداسة الأشكال التاريخية، بحيث يصعب عليهم أن يتحوّلوا عنه بشكل سريع، لأنّ الإنسان العادي يحرص على أن يبقى التزامه الذي يعتبره حالة أساسية في حياته محاطاً بالكثير من الاحتياطات التي تمنع من وجود أيّ خلل فيه.

ومن الطبيعي أنّ الإنسان في الواقع العام عندما يواجه الحالات الجديدة سواء كانت حالات ثقافية جديدة، أو حالات سياسية جديدة، في شخصية المرشحين للمرجعية قد يرتاح إليها، ولكنّه في الوقت نفسه قد لا يطمئن إليها، وهذا ما نلاحظه في أنّ كثيراً من الناس المنفتحين فكرياً وسياسياً هم مستغرقون في الجانب التقليدي في المسألة العبادية، أو في بعض القضايا المنفتحة على الجانب التقليدي في المسألة الفقهية والاحتياطية.

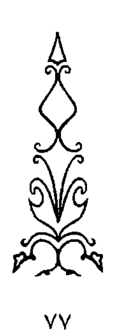
ولذا فإنّ مسألة الصراع بين القديم والجديد مسألة طبيعية جداً، لأنّ للقديم قداسته في نظر الناس، ولكنّ تحرّك الخط الجديد بطريقة متوازنة تحفظ له المعاني الروحيّة التي يختزنها الخط القديم، بحيث لا يجد الناس فيه ابتعاداً عن حالة الاحتياط في مواجهة القضايا الحادّة مثلا، هذا فضلاً عن استمرار ارتباط الخطّ الجديد بالمسيرة التاريخية للمرجعية، لا سيما في الجانب العلمي، بحيث يتميّز المرجع الجديد بعمق علمي لا يقلّ عن المرجع القديم مثلاً.

هذه الإنطلاقة يمكن أن تعطي إيماناً للناس بذلك. وتاريخ مرجعيتنا المعاصر يسند وجهة النظر هذه، فهناك، مثلا، مرجعيّة السيد محسن الحكيم «قُدّس سره» التي انفتحت على الواقع بطريقة لم يعرفها المراجع السابقون، فالسيد الحكيم انطلق في مرجعيّته بشكل واسع، والأمر عينه نجده في حركة مرجعية الشهيد السيد الصدر، الذي لم يصل إلى المرجعية بمعناها الواسع، ولكن كان الكثيرون من المقلِّدين يرجعون إليه في التقليد مع وجود آخرين أقدم منه سنّاً، كما نلاحظ ذلك أيضاً في مرجعيّة الإمام الخميني.

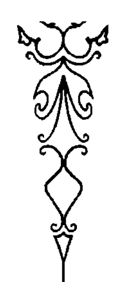
فإنّ الكثيرين من الناس، الذين يُعتبَرون من المقلّدين حسب الاصطلاح المعروف، أو من المحتاطين، رجعوا إليه في التقليد وانطلقوا معه في حركته السياسية. أما لماذا ذلك؟ فلأنّ هذه الأسماء الثلاثة لم تبتعد عن الجانب الروحي في حركتها، وفي سيرتها ومسيرتها، وإطلالتها على واقع الناس، وانطلاقتها في خط الإسلام، كما أنّها تملك قوة علميّة فقهيّة أصوليّة لا يستطيع معها أحد رميها بالسطحيّة وبالابتعاد عن الخط الأساسي في هذا المجال.

المرجعية المؤسسة في ضوء الاتجاهات الفقهية

تحدّثنا في الحديث السابق عن كوابح أو موانع موضوعية قد تَحُول دون دفع أطروحة المرجعية المؤسسة إلى حيّز التطبيق



العملي، بيد أنّ ثمة مانعاً آخر، ومن نوع آخر، يمكن أن ينهض في وجه هذه الأطروحة، ويرتكز هذا المانع على ما تستبطنه أطروحة المرجعية الشاملة أو المرجعية المؤسسة من القول بالولاية العامة للفقيه، في الوقت الذي يرى كثيرون من الفقهاء المجتهدين غير هذا الرأي.

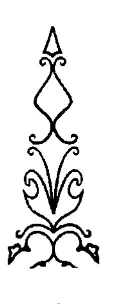


وهذا ما يفرض علينا إثارة هذه الأطروحة في ضوء الاتجاهات الفقهية ومحاولة تلمس المخارج العملية للإشكالات النظرية أو العملية التي يمكن أن تُثار في الطريق.

وبادئ ذي بدء نعرض لطبيعة الإشكالية في سبيل توضيح الاتجاهات والآراء الفقهية في هذا السياق، وتحديد الموقف المناسب منها، وجلاء إمكان إزالة ما يمكن أن تثيره عقبات في وجه أطروحة المرجعية المؤسسة. السؤال الذي لابدّ من طرحه، والذي في ضوء الإجابة عليه، تتميز الاتجاهات الفقهية، هو التالي:

هل تنحصر المرجعية - في نطاقها الشرعي - في الفُتيا والقضاء، بحيث لا يكون للمرجع أن يتدخّل في الشؤون العامة للناس من موقع الشرعية الملزمة التي يملكها في موقعه، بل يقتصر على شؤون الفتيا والقضاء، أو أنّها تمثّل المرجعية العامة التي تجعل منه مفتياً وقاضياً وحاكماً عاماً للناس، بحيث يُنفّذ حكمه في الأحكام والخصومات والموضوعات؟ هذا ما نجيب عنه في المبحث اللاحق.



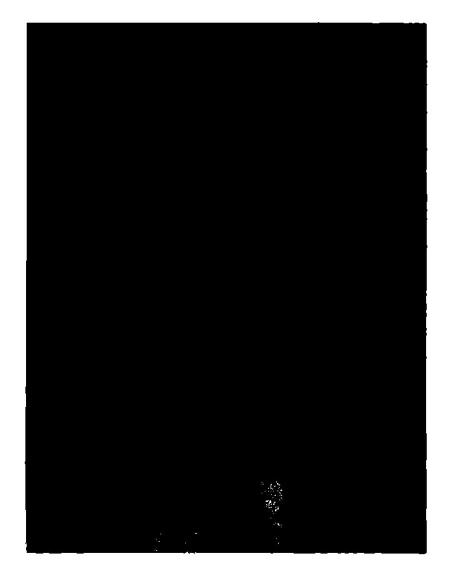


«تفقّهوا في دين الله فإنّ الفقه مفتاح البصيرة، وتمام العبادة، وفضل الفقيه على العابد كفضل الشمس على الكواكب».

الامام الكاظم عليه السلام



ولاية الفقيه في الإطار الفقهي

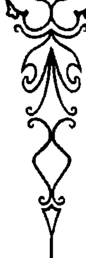


ولاية الفقيه هي من الموضوعات الفقهية التي أخذت حيزاً كبيراً من البحث العلمي الفقهي لدى الفقهاء، منذ بدأ الفقه الإسلامي يتحرّك ليحدّد مسؤوليات الناس في حياتهم الخاصة والعامة، وليحدّد السلطات التي منحها الله تعالى لبعض الناس على البعض الأخر.



هذا الموضوع جزء من بحث الولاية الذي يذكره الفقهاء عادةً في باب التجارة من الفقه، فيتناولون منه الأصل الذي يحكم علاقات الناس من حيث سلطة بعضهم على بعض، فيقولون: إنّ الأصل هو عدم سلطة أحد على أحد، فكلّ إنسان يملك السلطة على نفسه وشؤونه وليس له سلطة على أحد، وعلى ذلك فإنّ تصرّف أيّ إنسان لا يكون في الأصل ملزماً لأي إنسان آخر من ناحية قانونية أو شرعية.





ولكنّ الفقهاء يضيفون إلى ذلك قائلين: إنّ الله سبحانه وتعالى جعل لبعض الناس سلطة على البعض الأخر، كولاية الأب والجدّ على غير البالغ، فللأب ولاية على ولده، وللجدّ على ابن ولده، لهما الولاية أن يتصرّفا في ماله ونفسه على أساس المصلحة، أو عدم المفسدة. فللأب أو الجد أن يزوّج الطفل الصغير أو الطفلة الصغيرة في نطاق المصلحة أو عدم المفسدة. كما يذكر الفقهاءُ ولايةَ الأب والجد على المجنون الذي يمتد جنونه إلى ما بعد البلوغ.

ثم ينسحب حديثهم إلى ولاية النبي ﷺ فيقولون: إنَّ الله جعل لنبيه الولاية على الناس كلّهم، بالإضافة إلى دوره كنبيّ أو رسول، فولاية النبي على كلّ أمور الناس، هذا ما تقرره الآية الكريمة:

﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾

[الأحزاب: ٦]



إنّ ما تشير إليه هذه الآية: أنّ النبي يلي من المؤمنين ما يَلُونَه من أنفسهم، فلو أراد النبي أن يتصرّف بحياة إنسان ما، وأراد هذا الإنسان أن يتصرّف تصرّفاً آخر، فالنبيّ أولى به من نفسه.

هذه الآية ركّزت على حاكمية الرسول، فدوره ليس فقط دور الرسالة والإرشاد والإبلاغ، بل له دور آخر، هو دور الحاكمية على الناس.

وبعد ذلك كما هو خط التفكير الإمامي الذي يسير عليه آل البيت عليهم السلام جعل رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الولاية «بأمر من الله» لعليّ عليه السلام انطلاقاً من الآية التي نزلت عليه يوم الغدير:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾
[المائدة: ٦٧]

وما ترويه أحاديث السنة والشيعة، من خطاب النبي صلى الله عليه وآله إلى المؤمنين في غدير خم:

«ألست أَولى بكم من أنفسكم».

قالوا: اللهم بلى... قال صلى الله عليه وآله «اللهم اشهد... من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه...».

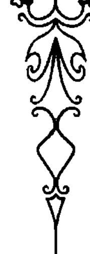
ويفسر علماء أهل البيت كلمة «المولى» بـ «الأَولى»، بقرينة قوله صلى الله عليه وآله ألستُ أَولى بكم من أنفسكم... فكأنه قال: من كنتُ



أَولى به من نفسه، فعليٌّ أَولى به من نفسه.. وبذلك أثبت الولاية بمعنى الحاكمية لعلي عليه السلام.

ثم جاءت أحاديث أهل البيت عليهم السلام لتؤكّد أنّ هذه الحاكمية انتقلت من نص إمام إلى إمام، بتعليمات من النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى أكملت الثانية عشرة، بوصول النوبة إلى الإمام الحجة عجل الله فرجه.





إذاً الفكرة تقول: إنّ الولاية تعني الحاكمية، أو السلطة على الناس كلّهم، ثابتة لائمة أهل البيت عليهم السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهي الآن من شأن الإمام الحجة «عج».

لمن الولاية بعد الغيبة..؟

بعد غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه تُطرح الأسئلة التالية:

- لمن الولاية؟...
- هل جُعلت لفرد يتمتع بصفات محدودة؟...
- هل لجماعة يمتلكون مؤهلات وصفات معينة؟...

تعرّض الفقهاء السابقون والمُحدَثون للإجابة على هذه الأسئلة، وكانت لهم مواقف نذكر منها:

أ- الولاية على أساس الشورى

هناك نظرية تقول: إنّ الولاية ، بعد أو في زمان الغيبة، هي للمسلمين على أساس الشورى فيما بينهم، فللمسلمين الحق في أن يجتمعوا ويتباحثوا ويتشاوروا في كلّ شأن من شؤونهم الخاصة والعامة، ليعملوا في نهاية الأمر وفق ما ينبثق عن نتائج الشورى.



وينطلق هؤلاء في رأيهم من عدة أدلّة، منها: أنّ الله سبحانه وتعالى يخاطب الناس في كثير من آياته: يا أيها الناس... يا أيها الذين أمنوا.. قل للمؤمنين... ومن هذا الخطاب المتكرّر يستفيد بعض الفقهاء: أنّ الله تعالى جعل الأمة مسؤولة عن الحياة وعن شؤونها التشريعية والتطبيقية. فالخطاب جاء بشكل عام، ولم يوجّه إلى جهة خاصة، وذلك دليل - في رأيهم - على أنّ مرجع الأمور هو الأمة، فهي التي تحدّد بوسائلها الخاصة: الحاكم وطبيعة الحكم، وكلّ القضايا التي تتصل بالمصلحة العامة.

وهناك دليل آخر يعتمدون عليه، وهو ما ورد من خطاب الله لرسوله في الاية:

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾

[آل عمران : ١٥٩]

فالرسول ﷺ لا يحتاج إلى مشورة، فهو المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلّا وحي يُوحى... ومع ذلك أمر الله أن يشاور الناس للإيحاء بأنّ الشورى هي خطٌّ من الخطوط العملية العامة التي يريد الله للأمة أن تتحرك فيها. حتّى الرسول ﷺ حينما يريد أن يتحرك في أيّ أمر من أمور السلم أو الحرب، لابدّ له من مشاورة الأمة.

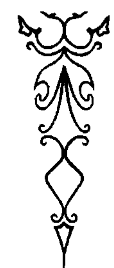
أيضاً هناك دليل ثالث يستدلّون به على أن الشورى هي



الأساس الذي يرتكز عليه الحكم في الإسلام: فالله تعالى حينما يصف طبيعة المجتمع الإسلامي يقول:

﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾

[الشورى : ٣٨]

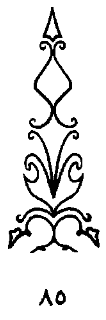


يعني أنّ أمر المسلمين في كلّ ما يبتلون فيه من أمور، وما يختلفون فيه من شؤون يرتكز على أساس الشورى، فطابع حياتهم الشورى، إنّهم يتشاورون، ولا يتجاوزون رأي الأخرين، ولا يستبدّون بأيّ موقف دون الباقين.

هذا الرأي هو الذي يستقربُه صاحب الميزان المرحوم العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي «رحمة الله عليه»، وكان الشهيد السعيد آية الله «السيد محمد باقر الصدر» «رضوان الله عليه» يستقربُه أيضاً في بدايات حياته الاجتهادية، وإن انتهى بعد ذلك إلى القول بولاية الفقيه.

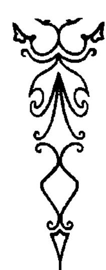
ولكنّ هذا الرأي يناقشه كثير من الفقهاء ويقولون: إنّ الآيات التي تخاطب المؤمنين كافة ليست في مقام جعل الولاية للمؤمنين، ولكنّها في مقام بيان تكاليفهم ومسؤولياتهم، كلّ إنسان بحسب دوره وظروفه.

إنّها آيات لبيان الأحكام الشرعية، لا لبيان الولاية والسلطة. وكذلك الأمر بالنسبة للشورى سواء كانت في خطاب لرسول الله ﷺ، أو في بيان سمة المجتمع الإسلامي، الشورى هذه، إنما



يراد بها إعطاء المسلمين أمراً يتداولون من خلاله في أمورهم وليست (الشورى) في مقام جعل الولاية والسلطة.

طبعاً، لسنا هنا في مقام تحليل الأدلّة الاجتهادية بشكل مفصّل، لأنّ ذلك يحتاج إلى وقت طويل، وثقافة فقهية لدى القارئ، ولكنّنا في مقام الإشارة إلى ذلك فقط.



فاتجاه الشورى يتبنّاه المسلمون من أهل السّنة، إذ يرون أنّ الشورى هي أساس الحكم من البداية وحتّى الآن، بينما نرى نحن أنّ خط الإمامة هو أساس الحكم، بينما الشورى - لمن يراها من علماء الشيعة - هي في زمان الغيبة فقط.

ب- الحكم على أساس ولاية الفقيه

وهناك اتجاه آخر في فهم طبيعة الحكم في الإسلام هو الحكم على أساس ولاية الفقيه، والمجتهدون اختلفوا فيها بين السعة والضيق، وهنا يمكن رصد اتجاهات فقهية ثلاثة:

الاتجاه الاول:

إنَّ الفقيه هو نائب الامام ـ في النظرية الإمامية ـ يملك من السلطات ما يملكه الامام - إلاّ ما ثبت اختصاصه بالإمام - فله حق الفُتيا في القضايا الشرعيّة، وللعوام أنّ يقلّدوه في ذلك، وله حقٌّ القضاء بين الناس، فلهم الرجوع إليه لخصوماتهم، وعليهم الالتزام بحكمه حتى لو كانوا من الفقهاء الذين يختلف رأيهم الفقهي عن رأيه.

وله حقٌّ الولاية على الناس، فيجب عليهم الالتزام بكلّ الأحكام العامة والخاصة التي تتحرّك في دائرة النظام العام الخاضع للحاجة إلى السلطة الحاكمة التي تدير شؤون البلاد والعباد، وهذا هو المعروف بولاية الفقيه.



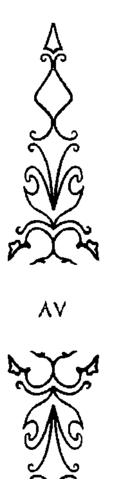
الاتجاه الثاني:

إنّ الفقيه يملك سلطة الفُتيا والقضاء، ويملك إصدار الأحكام في الموضوعات العامة أو الخاصة فينفذ حكمه فيها، كما ينفذ حكمه في القضايا الشرعية، ولكنّه لا يملك الولاية العامة، فيكون موقع حكمه في الموضوعات التي قد تحتاج الأمة إلى إثباتها بحكم الحاكم، كالهلال ونحوه، كما هو موقع حكمه في باب القضاء فينفذ على الناس جميعاً سواء أكانوا مجتهدين أم مقلِّدين، وهذا هو المعروف بحجيّة حكم الحاكم في الموضوعات.

الاتجاه الثالث:

هو الذي يسلب عن المجتهد سلطة إصدار الأحكام في الموضوعات، فليس له الحقُّ في ذلك، ولا يجب على الناس إطاعته فيها، فلو أصدر حكماً في ثبوت هلال شهر رمضان، فلا يجب على الناس - حتى إذا كانوا مقلِّدين له - الصيام، لأنّ حكمه ليس حجة عليهم، إلّا إذا أوجب لهم الاطمئنان الذاتي.

إنّنا نلاحظ في هذا الاتجاه الأخير اقتصار دور المرجعية



على الفتيا والقضاء، فلا تتعدّاه إلى غيرهما إلاّ في دائرة الولاية على شؤون القاصرين والغائبين وبعض الموارد الخاصة كالأوقاف ونحوها، مما يدخل في دائرة الأمور الحسبية التي نقطع بأنّ الله لا يرضى بضياعها، بل يريد للناس كلّهم أن يقوموا بها بنحو خاص. وربّما جعل بعض الفقهاء الذين يلتزمون هذا الاتجاه، الولايةَ للفقيه على إقامة الحدود بين الناس ليكون موسّعاً لمركز القضاء، فيكون له السلطة على الجانب التنفيذي بالإضافة إلى سلطة إصدار الأحكام.

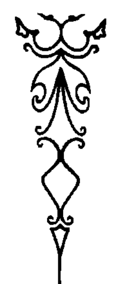
وفي ضوء ذلك لا مجال للمرجعية الدينية العامة في موقع المجتهد، حتّى لو كان يملك المرجعية في التقليد، فليس له التدخّل في الشؤون العامة للناس، من موقعه المرجعي، بل يكون رأيه مجرّد رأي شخصي، كبقية الآراء الصادرة عن الأخرين الذين لا يملكون أيّ موقع ديني عام، فللناس أن يقبلوه أو أن يرفضوه، تَبَعاً لما تفرضه قناعاتهم من ذلك.

أمّا في الاتجاه الثاني، فقد نجد له موقعاً أكثر فاعليّة في الشؤون المتصلة بحياة الناس، لكنّ ذلك يبقى في دائرة الموضوعات التي تحتاج إلى الإثبات - في غير باب الخصومات- مما يملك فيه الحاكم الشرعي وسائل ثبوته، فلا يتعدّاه إلى التدخّل في شؤون الناس من موقع السلطة العامة التي تفرض عليهم التزاماً سياسياً أو اجتماعياً أو عسكرياً، فيما لا يقتنعون



به أو يرفضونه، وفي ضوء ذلك فإنّ مرجعيته تتصل بدائرة حُجيّة رأيه في الإثبات في الموضوعات العامة، فلا تقتصر على جانب الحجيّة في الإثبات في باب القضاء.

ويبقى الاتجاه الأول هو الاتجاه الوحيد الذي يجعل من الفقيه مرجعاً إسلامياً عاماً، إذا كان مؤهّلاً للتقليد جامعاً لشروطه، لأنّه يمثّل القيادة الإسلامية التي تملك سلطة القرار في الشؤون العامة للمسلمين، كما تملك سلطة التنفيذ، سواءً كان ذلك في حدود النظرية التي تجعل ولاية الفقيه متسعة لكلّ ما تتّسع له ولاية النبي والإمام في صفة الحاكمية، أو التي تجعل لها حدوداً ضيّقة تختلف عنها في بعض المواقع، فيما قد يكون لخصوصية النبّوة والإمامة بعض المميزات في ذلك كما يذكره بعض الفقهاء في الجهاد الابتدائي.



وفي هذا الاتجاه يمكن للمجتهد الفقيه أن يعمل على التحرّك في الأمور العامة خارج نطاق الدولة في المناطق التي لا يحكمها الإسلام في شريعته الشاملة، كما يعمل على التخطيط لبناء الدولة بكلّ الوسائل الشرعية المطروحة بين يده، فيكون قائداً في الحرب وحاكماً في السلم ومرجعاً في الأمور الجزئية والكلية التي تحتاج إلى قرار شرعيّ حاسم.

أما في الاتجاهين الثاني والثالث، فقد يمكن للأمة أن ترجع إليه في غير دائرة الإلزام، فيما قد تحتاجه من الموقع الذي

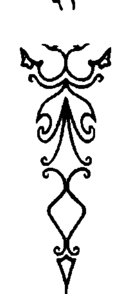
يملك الاحترام والخضوع الروحي والثقة الدينية مما يحصل عليه المجتهد المقلَّد من خلال رجوع الناس إليه في التقليد، حيث يملك من إمكانيات التأثير ما لا يملكه غيره من الفعاليات السياسية أو الاجتماعية فيمكن له أن يتحرّك في الظروف الصعبة التي تحتاج فيها الحركة إلى الرمز الذي يوحّد الأمة، ويحرّك مواقعها على الطريقة الشرعية فيما تفرضه الوقائع من مجريات الأحكام، ولن يكون قراره في إصدار التعليمات السياسيّة أو العسكريّة نافذاً من حيث هو قرار قيادي مُلْزِم، بل من حيث هو كاشف عن شرعيّة التحرّك في تحديده للتكليف الشرعي، في ما يمكن للمكلّف أن يستقلّ فيه بشكلّ فردي أو جماعي، تَبَعاً للدائرة التي يتحرّك فيها هذا التكليف، أو من حيث هو مبيّن للمصلحة العامة الملزمة التي قد تفرض حكماً شرعياً ملزماً على أساس العناوين الثانوية.





«الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا، قيل يا رسول الله وما دخولهم في الدنيا؟

قال: اتّباع السلطان».



حديث شريف

الفقيه وتحديد المصلحة العامة

وربما تفرض المصلحةُ العامة قيادةَ الفقيه في بعض المواقع أو المواقف على أساس الظروف الدقيقة التي تمرّ بالمسلمين فيما يواجهونه من التحدّيات السياسية والعسكرية في ساحة الصراع، بحيث ترتبط المسألة بالقضايا المصيرية التي لا يمكن أن تُترك في منطقة الفراغ القيادي، فيدور الأمر بين قيادة الفقيه العادل الذي يملك تقوى القرار، كما يملك تقوى التنفيذ من خلال معرفته بحدود الله، لا سيمّا في مسائل الدماء والأموال والأعراض، وبين قيادة غيره الذي لا يملك ما يملكه الفقيه من ذلك، أو لا يصل إلى مستواه في كلّ الأمور إذا كان يشاركه في بعضها، وحينئذ يطرح الأصوليون حكم العقل القطعي بتعيين الفقيه للقيادة، لدوران الأمر بين التعيين أو التخيير، لأنّ الضرورة التي تفرض وجود القيادة تفرض براءة الذمة بالسير مع الفقيه



في قيادته لأنّه طرف من دائرة التخيير، ومتعيّن في احتمالات التعيين، بينما لا تفرض براءة الذمة مع غيره على كلّ حال.

ولعلَّ هذا التخريج للمسألة، يطرح الحلّ في قيادة الفقيه للدولة بعد قيامها، حتى لو لم يجد لنفسه الولاية على الناس بالنظرة الأولية فيما هو الحكم الشرعي الأولي، لأنّه يجد نفسه ملزماً بالقيام بهذه المهمة في نطاق الظروف التي تتحرّك في حجم الضرورة بالنظرة الثانوية فيما هو الحكم الشرعي الثانوي.

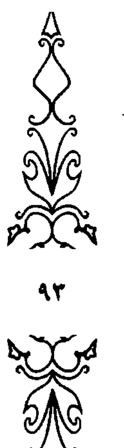




ويبقى للفقيه أن يحدّد الضرورة الملزمة من خلال خبرته أو خبرة الآخرين الذين يملكون عمق المعرفة للمصالح العامة للمسلمين ليتحرّك على هذا الأساس.

وربما كانت مشكلة الكثيرين من الفقهاء، أنّهم يعيشون في عزلة عن حركة الواقع الإسلامي، في القضايا السياسية، فلا يستشعرون الأخطار التي تحيط بالمسلمين في بعض الظروف الصعبة التي تهدد الإسلام في الصميم في وجودها الفكري والتشريعي حتّى على مستوى الأفراد، أو تهدّد المسلمين في قضاياهم المصيرية في خط الحرية والعدالة، بالمستوى الذي يفرض على العلماء أن يتحرّكوا ليحرّكوا الأمّة حسب الطاقات التي يملكونها.

وربما يحيط بعضهم في دائرة المرجعية، بعض الأصحاب



والمستشارين الذين لا يؤمنون بالتحرّك الفاعل، لاسيما إذا كان يؤدّي إلى بعض الأخطار على نظرة بعض القواعد الشعبية أو الرسمية للمرجعية بطريقةٍ سلبية، لأنّ مثل هؤلاء قد يستغرقون في مصلحة نجاح المرجعية من ناحية ذاتية، أكثر مما يستغرقون في نجاح الإسلام من خلال مواقعها العامة، فيحجبون عن المرجع المقلَّد كثيراً من المعلومات الضرورية التي توضح الرؤية بشكل جيّد، أو يمنعون الجهات الفاعلة الواعية التي يمكن أن تعرّفه غوامض القضايا ودقائق الأمور.

وقد يهوّلون عليه الوضع بحيث يشعر بعدم القدرة على مواجهة المشاكل، ويصل إلى بعض القناعات التي قد يجد فيها المفسدة في التحرّك غالبةً على المصلحة، ليكون الحُكم الشرعي في نطاق المنع لا الرُّخصة..

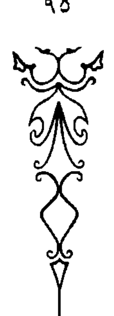
وقد يقودونه إلى التحرّك في الاتجاه الآخر المضاد الذي فرض نفسه ودوره على الواقع من خلال قوة الظلم وأجهزة الاستكبار، وذلك من خلال الفكرة القائلة بأنّ على الناس مجاملة الظالم والانسجام معه في حكمه في المجالات التي لا يستطيع الناس فيها أن يعارضوه أو يُسقطوه، لأنّ في ذلك حفاظاً على مصالح الناس العامة والخاصة التي قد تضيع في خط المقاطعة أو المواجهة.


٩٤



«قل الحقَّ وإنْ كان فيه هلاكك، فإنّ فيه نجاتك. ودع الباطل وإنْ كان فيه نجاتك، فإنّ فيه هلاكك.

الإمام موسى بن جعفر عليه السلام



الفقيه ومعرفة الواقع

بعيداً عن الإطار الفقهي لمسألة ولاية الفقيه، فإنَّ النقطة التي نحب إثارتها في هذا المجال، هي أنّ موقع الفقيه، لاسيما إذا كان مرجعاً فيما هي المرجعية الصغيرة أو الكبيرة، يمثّل الموقع المتقدّم في حياة الأمة، حيث تجد فيه الشخص الذي تمثّل كلمته أو حركته الموقفَ الشرعي المبرىء للذمّة أمام الله.

ولذلك فإنّ إيجابيّته أو سلبيّته تجاه القضايا العامة تترك تأثيرها الإيجابي والسلبي على مجمل النتائج العلمية.. حتى لو كان يرى لنفسه الصلاحية الشرعية في ولاية أمور المسلمين في مثل هذه القضايا، لأنّه لا يرى حكم الحاكم في الموضوعات، أو لأنّه لا يرى ولاية الفقيه العامة، لأنّ المسألة تتصل بالمستوى الواقعي لموقعه الديني في تأثيره الاجتماعي أو السياسي.

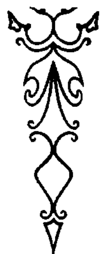
وفي ضوء ذلك فإنّنا لا نتحدّث عن ضغوط يمارسها العاملون، بل نتحدّث عن انفتاح على الواقع كلّه من أجل التدقيق



في الموضوعات الواقعية التي قد تختزن المصلحة الملزمة أو العناوين المختلفة عن الطبائع الذاتية للأشياء فتحدّد له تكليفه في مواقفه، كما تحدّد للناس مواقعهم في هذا التكليف.

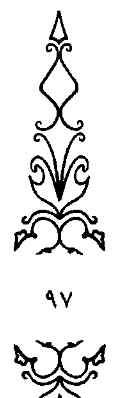
وإذا كان بعض الناس يجد أنّ مهمّة الفقيه الاجتماعية لا تتدخّل في الموضوعات، بل تقتصر على التدّخل في الأحكام، فإنّنا نشير إلى حقيقة مهمّة، وهي أن بعض القضايا المصيرية قد تفرض التكليف من جهة أخرى، وهي الأهمية الكبرى التي يتوقف عليها حفظ النفوس والأموال والأعراض، بحيث لا يكون إهمالها والابتعاد عن النظر فيها عذراً شرعياً على كلّ حال.





وربما كانت هذه الأمور تمثّل تكليف الإنسان المسلم بقطع النظر عن صفته العلمية أو السياسية أو الاجتماعية إلّا بمقدار ما يكون للصفة من دور في حجم التأثير في الموقف، وربّما كانت بعض هذه الأمور خاضعةً لعنوان الاهتمام بأمور المسلمين من الناحية الفكرية أو العملية، أو لعنوان الدفاع عن الإسلام والمسلمين في مواجهة أعدائهم من الكافرين والمستكبرين.

ولكننا نتحدّث عن حيوية المرجعية في تطلّعاتها الاجتماعية والثقافية والسياسية، وحركيتها الفاعلة في حجم الظروف الواقعية المحيطة بها، بحيث تبقى في انفتاح دائم على كلّ الأوضاع والمتغيّرات ونقاط الضعف في الواقع الإسلامي كلّه، ممّا يعطي المرجعية دوراً كبيراً يملأ فراغ الأمة في القيادة، فإنّ



بعض المواقف التي تفقد عنصر الإلزام للفقيه، لا تفقد عنصر الرجحان الذي قد يقترب في بعض ظروفه من خط الإلزام.

وقد يكون للبعد عن مواقع المسؤولية الحركية الفاعلة، تأثير سلبي كبير، لأنّ الفراغ القيادي سوف يملؤه الكافرون والظالمون والجاهلون، كما أنّ الفراغ الحركي، سوف تسيطر عليه الحركات غير الإسلامية.. وهذا هو الذي جعل الساحة الإسلامية خاضعة للقيادات السياسية الكافرة أو المنحرفة، وللحركات الضّالة أو المنحرفة أو الكافرة، فإنّ طبيعة الأشياء تفرض على الواقع أنّ الحياة لا تتحمّل الفراغ، فإذا لم يملأ العاملون الفراغ فسيملؤه الجاهلون، وإذا لم تنطلق القيادة من مواقع الهدى فسوف تنطلق من مواقع الضلال.

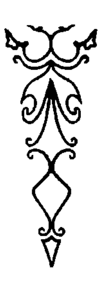
إنّ الواقع الإسلامي، في خطورته المصيرية، لا يقف عند النظريات الفقهية المحدودة، بل يتحرّك في النظريات البديلة في نطاق العناوين الجديدة التي تحفل بها حركة الحياة في كلّ زمان ومكان.

ويبقى ما يجب لفت الانتباه إليه هنا وهو أنّ قضية ولاية الفقيه شأن فقهي، ينطلق فيه الفقهاء على أساس الأدلّة الاجتهادية المستوحاة من الكتاب والسنة، وفي هذا الإطار تتفاوت وجهات نظر المجتهدين كما رأينا.

والمهم، أنّنا في الوقت الذي نتبنى فيه- من ناحية إجتهادية-



نظرية ولاية الفقيه، علينا أن نفهم طبيعة المبدأ، المبدأ هو الحكم الشرعي الذي لا يستطيع أن يؤكّده أو يرفضه إلّا أهل الاختصاص في الأحكام الشرعية، ولا يجوز أن يمارس بطريقة انفعالية أو حماسية أو استعراضية، فالقضية تخضع لأسس علمية واجتهادية وفقهية.

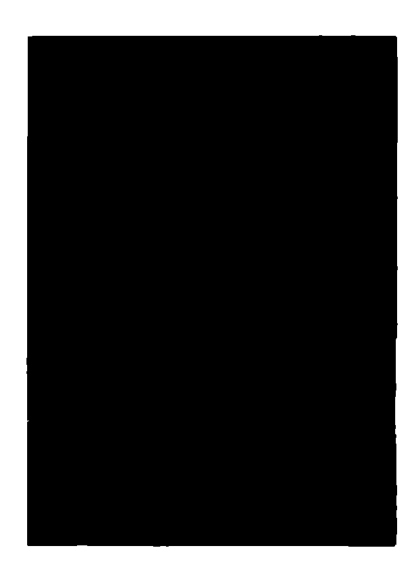




«إنّما عماد الدين وجماع المسلمين والعدّة للأعداء العامة من الأمة، فليكن صفوك لهم وميلك معهم».

الإمام علي عليه السلام

المرجعيّة المؤسسة وإشكالية ثنائية المرجعية والولاية

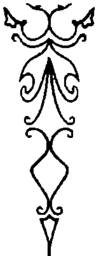


وفي سياق أطروحة المرجعية قد يثار إشكال من نوع آخر، ذلك، أنّ أطروحة المرجعية المؤسسة توحّد ما بين المرجعية



والولاية، بحيث ترى أنّ المرجع وليٌّ، أو ترى في أن يكون الولي هو المرجع، وهذا الطرح من شأنه أن يواجه اعتراضات، لاسيما من قِبَل الاتجاه الفقهي الذي لا يقول بالولاية العامة للفقيه. فكيف يمكن - والحال هكذا - التصدّي لمثل هذه الإشكالات في ضوء أطروحتنا الخاصة بالمرجعية - المؤسسة نتوقف ابتداءً عند طبيعة المضمون الفقهي لنقاط الخلاف، عارضين لها وصولاً إلى طرح تصورنا الخاص بالمخارج الممكنة أو المقترحة.

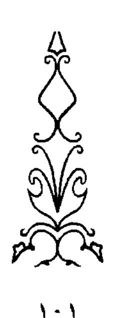


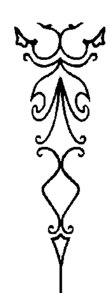


أولا: الحل الظرفي يكمن في العناوين الثانوية والعامة

عندما تكون هناك مرجعية و ولاية قد يحصل هناك بعض المشاكل في هذا المجال، كالتصدي لموضوعات مشتركة، وهنا يدور جدل فقهي هل يجوز لمجتهد أن يتصدّى له مجتهد آخر، ويتحرّك هذا الجدل في كتاب القضاء، عندما يقوم قاضٍ بالنظر في مسألة، فهل يجوز لقاضٍ آخر أن ينظر فيها في أثناء النظرة الأولى، هذا جدل فقهي. وقد تختلف المسألة في الحكم الشرعي، فنرى أنّ مجتهداً ما يجد الجهاد واجباً في حال الغيبة، في حين لا يجده مجتهد آخر واجباً مثلاً، وهنا قد يختلف الولي الفقيه مع المرجع.

عندما يكون المرجع شخصاً ويكون الولي الفقيه شخصاً آخر، فإنّه من الطبيعة أن تكون هذه التعددية سبباً لأكثر من مشكلة.





إنّ هناك قضايا قد يختلف فيها المرجع في فتواه عن رأي الولي في حركته مثلاً، ربما يرى بعض المراجع أنّ الجهاد غير مشروع في غيبة الإمام، أو يرى أنّ العمل من أجل إقامة دولة إسلامية في بلد ما بحيث يحصل من ذلك سفك للدماء، وإرباك للواقع الاقتصادي والاجتماعي للأمة، محرّم.

ولكنّ الولي الفقيه يرى ضرورة الجهاد ويدفع إليه، أو يرى ضرورة إقامة الدولة الإسلامية في هذا البلد الإسلامي أو ذاك. في مثل هذه الحالة قد يعيش الناس الذين يلتزمون بهذا المرجع، ويلتزمون بولاية هذا الولي، مشكلة الازدواجية بالانتماء للمرجع فتوائياً والانتماء للوليّ حركياً.

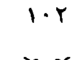
في مثل هذه الحالة، ربما يرى هذا المرجع في مسألة الولاية ولاية مطلقة للفقيه المتصدّي، فإذا لم يكن متصدّياً فمن الطبيعي أن يدعم ولاية الولي الفقيه إذا توفرت فيه شروط الولاية من وجهة نظره انسجاماً مع رأيه.

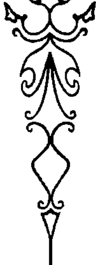
ولا بدّ من أن يدفع الناس إلى طاعته، وبذلك يكون تحرّك الولي في خط الولاية نافذا شرعاً لا من الناحية الفتوائية، بل من ناحية أنّ حكم الولي نافذ وتحرّكه شرعي، تماما كما هي فتوى المجتهد الذي يختلف مع مجتهد آخر في النظرية الفقهية التي يقضي بها المجتهد الآخر في مسألة دعوى بين اثنين، فإنّ اختلافه معه في الفتوى لا يجيز له أن يرفض حكمه في القضاء.



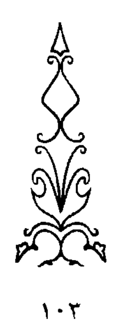
في هذه الحالة تكون مسألة حركة الولي في ولايته كحركة القاضي في قضائه، مما يجب على من يرى ولاية الفقيه أنْ يطيعه.

أما إذا كان هذا المرجع لا يرى ولاية الفقيه، ولكنّه يرى أنّ حكم الحاكم في الموضوعات وفي الأمور العامة المتعلّقة بالموضوعات نافذ، فإنّه في مثل هذه الحالة لا بدَّ من إمضاء حكمه في هذا الموضوع أو ذاك، حتى لو لم يتفق معه في هذا الحكم. لا من باب الولاية، ولكن من باب أنّ المجتهد إذا حكم بحكم فلا بدّ لمجتهد آخر من تنفيذ حكمه. فلو حكم مجتهد في البداية، ولم ينكشف خطأه عند مجتهد آخر، فإنّ عليه أن يُمضي حكمه.





وربّما تبقى بعض المسائل التي تتصل بقضية النظرية، والتي ربما تكون الفتوى فيها على خلاف فتوى الولي، مما قد يجعل المرجع يرى أنَّ الولي يرتكب حراماً وأنّ حكمه في هذا المجال تماماً كما لو حكم في أمر حرام، فإنّه في هذه الحالة لا ينفّذ حكم الحاكم، لأنّ حكم الحاكم إنما ينفذ إذا كان مشروعاً. أمّا إذا كان متعلّقه حراماً فلا ينفذ. لذلك لا بدّ في مثل هذه القضية من دراسة العناوين العامة التي يمكن تطبيقها على حركة الولي الفقيه، مما يتنافى من خلال الخط العام مع رأي المرجع بالبحث عن عناوين ثانوية، تجعل هذا الأمر الذي حكم



به الولي واجباً أو جائزاً للعنوان الثانوي، إذا لم يكن جائزاً للعنوان الأولي، مما يعني وجوب إطاعة الولي الفقيه، لكنّ ليس من باب الولاية، ولا من باب الحكمة، ولكن مع باب أنّ ما أمر به يمثّل مصلحة إسلامية عُليا، التي لو أدركها المرجع لحكم بها. لأنّ العناوين الثانوية تغيّر الموضوعات فتتغير الأحكام الثابتة لها بعناوين أولية.

أما إذا كان المرجع لا يرى ولاية الفقيه العامة، ولا يرى أنّ حكم الحاكم في الموضوعات نافذ، كما كان عليه المرحوم آية الله الخوئي رحمه الله، الذي كان لا يرى أنَّ حكم الحاكم نافذ في الموضوعات، في هذه المرحلة يتوقف الانسجام الشعبي لمن يقلّد هذا المرجع مع ولاية الولي بالبحث عن عناوين عامة يمكن أن تنطبق على الموضوعات التي حكم فيها الولي الفقيه الحاكم، فيكون سير التديّن للمرجع مع خط ولاية الفقيه من ناحية عملية منسجماً مع الحكم الشرعي.

أتصوّر أنّ القضية لا بدّ أن تعيش في هذه الاحتمالات تبعاً لاختلاف المباني الفقهية في المسألة. إنّنا نتكلّم في القضية من ناحية المبدأ، وفي التفاصيل كما يمكن أنّ يختلف الوليّ الواحد مع المرجع، فقد يختلف أكثر من وليّ في ساحته مع المرجع، ولا بدّ أن تعطي كلّ ساحة عناوينها التي تنسجم مع شرعية العلم أو الفقيه.

ولكن ماذا لو اختلف الوليّ مع الوليّ الأخر؟

لابدّ لنا من أن نبحث عن حلّ لهذه المسألة من خلال دخول فئة من خبراء الأمة الذين يحاولون أن يحلّوا هذا الاختلاف على أساس إدارة الحوار حوله وما إلى ذلك، أو تخفيف السلبيات التي قد تنتج عنه فيما لو لم يتفق الوليّان، كلٌّ في ساحته.

كما قد يحصل خلاف بين المجتهدين نتيجة عدم قناعة أحدهما بالحيثيات التي استند إليها الآخر بحيث يعرف خطأه، أو أنّ هذا المجتهد لا يرى تمامية شروط الحاكمية في المجتهد الأخر، كأن يشكّك في اجتهاده أو في عدالته، أو أنّه يرى أنّ حكم الحاكم نافذ بالنسبة له.

وقد يكون شيء ما حلالاً في نظر مجتهد وحراماً في نظر مجتهد آخر كما في الجهاد، فقد يرى مجتهد أنّ الجهاد حرام إذا كان يشتمل على بعض الأخطاء، وكما نلاحظ مسألة إقامة الدولة الإسلامية، فالإمام الخميني كان يرى وجوب إقامة الدولة الإسلامية حتى لو أدّى ذلك إلى إزهاق النفوس وإسالة الدماء، بينما يرى بعض العلماء أنّه يحرم السعي لإقامة الدولة الإسلامية إذا كان ذلك مؤدّياً لسفك الدماء أو إرباك الواقع العام للناس مثلاً.

وهكذا نلاحظ أنّ هناك بعض الآراء المختلفة التي ترى حرمة إقامة دول إسلامية في زمن الإمام الغائب، لأنّ كلّ راية قبل القائم راية ضلال، بينما يرى بعض الناس وجوب أو جواز ذلك.



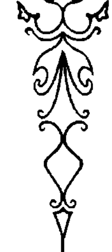
ففي مثل هذه الحال لو تبنّى الولي الفقيه مثلا، كالإمام الخميني، الجهاد وأطلقه حركيّاً، وكان الفقهاء الآخرون، الذين يقلّدهم جماعة من الناس، يرون حرمة ذلك، فإنّ القضية، في مثل هذا، لابدّ من أن تُدْرَس إيجابياً بالبحث عن عناوين ثانوية تجعل الجهاد مُعَنْوَناً بعنوان ينطبق عليه حكم الجواز أو حكم الوجوب على طريقة العناوين الثانوية، وإلا ففي دائرة العناوين الأولية التي يختلف فيها المقلَّد والوليّ، لابدّ من أن يتجّمد المقلِّدون عند حكم المجتهد، وهنا تنشأ المشكلة الحادة في إرباك الواقع الإسلامي.

ثانياً: الحل الجذري بوحدة المرجعية والولاية

في مطلق الأحوال، إنّنا عندما نتحدث عن التعددية، فإنّنا نتحدث عن النظرية الفقهية التقليدية التي تعطي للمرجعية شروطاً أخرى، مما يجعل شخصية تاريخية إسلامية عظيمة كالإمام الخميني يشعر بمسؤوليته أن يؤكد- وهو الذي أعطى المرجعية معنى الولاية وأعطى الولاية حركية المرجعية - على الفصل بين المرجعية وبين الولاية.

تلك هي النظرية التي تحبس المرجعية في دائرة قد لا تجعلها تنفتح على الولاية، وتجعل الولاية في موقع قد لا يمنحها الصعود إلى مستوى المرجعية.





إنّ الطموح الذي يتجاوز الحلول المشار إليها آنفا، يكمن في رأينا في وحدة المرجعية والولاية.

ولكنّ مسألة الوحدة ليست شعاراً سياسياً يجتذب الانفعال، ليتحرّك الناس على أساسه في هذا الموقع. بل هو عنوان ينطلق من عناصر حقيقيّة فيما هي الشروط الفقهية للمرجعية. فإذا رأينا أنّ المرجع لا بدّ أن يكون أعلم، كما هو المشهور بين الفقهاء، بما فيهم الإمام الخميني «رضوان الله عليه» ولو على أساس الأحوط وجوباً ولم يكن هذا الإنسان الأعلم قادراً على إدارة شؤون الأمة في قضاياها المتنوعة الواسعة، فإنّه قد يكون مشروع وليّ فيما هي مسألة موقع المجتهد في الولاية، ولكنّه لا يملك مشروعيّة فعليّة للولاية، لأنّه لا يملك الخبرة في إدارة مسألتها.

وقد نجد هناك شخصاً مجتهداً يملك الخبرة في شؤون الأمة ولكنّه لا يملك الأعلمية، لأنّ الولاية لا يشترط فيها الأعلمية، بل يكفي الاجتهاد مع العدالة والخبرة. فإنّنا في هذه الحالة لا نستطيع أن نوحّد بين الولي وبين المرجع، أو بين الولاية وبين المرجعية، لأنّ الولي لا يملك عنصر المرجعية وهو الأعلمية، ولأنّ المرجع لا يملك عناصر الولاية وهي الخبرة والقدرة على الإدارة. فلا بدّ من الفصل بينهما.

أما إذا قلنا بنظرية عدم وجوب تقليد الأعلم - كما نراه

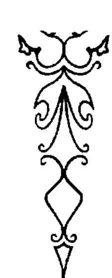


في اجتهادنا الفقهي - فإنّ من الممكن توحيد مسألة الولاية والمرجعية، إذا توفرت العناصر الفقهية الكافية في المرجعية في شخص مَنْ يملك القدرة على حركية الولاية، لأنّ الاجتهاد وحده لا يكفي، بل لابدّ من أن يكون هناك اجتهاد متمرّس منفتح على قضايا الفقه كلّها، ليستطيع هذا الولي المرجع أنْ يجيب على كلّ مسألة، وليملك القدرة على إدارة المسألة الفتوائية كما يملك القدرة على إدارة المسألة الولائية.

إنّنا في هذه الحال، يمكن أن نوحّد بين المرجعية وبين الولاية، أمّا إذا كانت الولاية تملك مقداراً من الاجتهاد، لكنّها لا تملك سعته، فإنّ الاجتهاد وحده - كما قلنا - لا يكفي في هذه الوحدة. إنّ القضية لابدّ أن ترتكز على أساس القاعدة العلمية التي يمكن أنْ توحّد من جهة، ويمكن أن لا تملك طريقة للتوحيد من جهة أخرى، في نظرية تقليد غير الأعلم يمكن ذلك بالشروط التي ذكرناها، وبذلك يمكن انتخاب المرجع الذي يملك الخبرة فتتّحد الولاية والمرجعية.

هنا ألفت إلى مسألة غاية في الأهمية، هي أنّ الحاكم في قضية المرجعية والولاية هو القاعدة الفقهية والمستند الشرعي، وبالتالي لا مكان للعصبية والانفعال، نحن طموحنا أن يكون هناك تكامل بين المرجعية والولاية، والمساحة الفاصلة بين المرجعية والولاية يمكن أن تضيق إلى حدّ قد تغيب الفواصل، عندما نعرف

كيف ندير الخلافات، لأنّ مشكلتنا هي أنّنا لسنا فقط لا نعرف كيف نتفق، بل إننا أيضا لا نعرف كيف نختلف، ولو عرفنا كيف نختلف، كيف ندير خلافاتنا، وكيف ننطلق بمسؤولية في تحريك قضايانا، لاستطعنا أن نجد للخلافات حلاًّ، أو لاستطعنا أن نجد لها عذراً.



إننا نستذكر كلمة رائعة للشهيد حسن البنا عندما قال: «نلتقي فيما نتفق عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه».

عندما تكون الخلافات في التطبيق العملي، فإنَّ الذين يتّقون الله في حركة الواقع لا يمكن أن يهدموا الواقع لتنفيس مشاعرهم في الخلافات، لذلك لا مشكلة في هذا الجانب إذا اتقينا الله فيما نختلف فيه.

ولعلّ ما يمكن أن يقوّي حجتنا بحذف شرط الأعلمية في تقليد المرجع يكمن في أنّ السيرة العقلائية قد تكون على خلاف القول بالرجوع إلى الأعلم في الفقه في الطب أو في الهندسة، فنحن نجد أنّ الناس في كلّ الفنون ترجع إلى كلّ إنسان يملك ثقافة يأمن الإنسان من خلالها على ما يحتاج إليها منها. ولذلك نرى أنّ الناس لا ترجع إلى الطبيب الأعلم بل ترجع إلى غيره، ولا إلى المهندس الأعلم أو المحامي الأعلم. ربما يقول بعض الناس إنَّ الرجوع إلى هؤلاء لأنّهم لا يعلمون مخالفتهم لرأي الأعلم. ولكن نجد أنَّ المسالة أوسع من ذلك. كما أنَّ الذي يقول

بعدم وجوب تقليد الأعلم قد يعتمد على بعض الأدلة الشرعية من إطلاقات وما إلى ذلك. فالمسألة هي من المسائل التي تخضع للجدل الفقهي.



أما حكاية بأن ذلك يعطي نتائج سلبية على مستوى حركة الاجتهاد، فإننا لا نرى ذلك، لأنّ الذي يعمل على أن يصير الأعلم لا يضع في حسابه أنه يعمل للأعلمية حتى يصير مرجعاً، لأّنه يعرف أن الناس قد تختلف في مسألة أعلميته وعدم أعلميته في هذا المجال، فليس طموحاً يمثل الواقع العملي في كلّ ما يتحرك فيه الناس. فهذه المسألة، بأن يأخذ الدرجة العليا في الفقه تنطلق من طموح الإنسان وتنطلق من خلال طبيعة وعيه للعلم ورغبته في العلم. ولذلك نجد أنّ هناك أناساً بلغوا أعلى درجة من العلم من دون أن يكون هناك أيّ طموح شخصي، أو أيّة فرصة لهم في بلوغ أية درجة متقدمة في هذا المجال.

أما أنّ هذا لا يلغي الخلاف، فنحن لا ندّعي بأنه يمنع الخلاف، لكننا نقول إنّه يحلُ لنا مشكلة عملية وواقعية:

﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾

[هود : ١١٨]

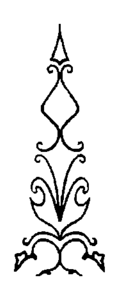
لم يتفق الناس على الأنبياء فكيف يتفقون على المرجع في هذا المجال. لكننا كنا نتحدث عن الحل العملي في هذا الموضوع.

أما قضية من هو الأعلم، الفقهاء يتفقون أنّ قضية الأعلم في

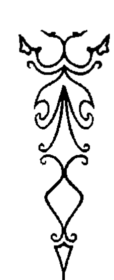
الفقه هو الأقدر على استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها، ولا يُدخلون مسألة الكفاءة السياسية والاجتماعية في هذه المسألة، لأنّها مسألة فنية، كما نقول الأعلم في الهندسة، فهل يحتاج أن يكون عنده وعي سياسي، أو الأعلم بالقانون عندما يراد الرجوع إليه في الفُتيا، كما هي النظرة التقليدية للمرجع أنّه مرجع في الفُتيا، فمن الطبيعي أنْ تكون أعلميته في دائرة أنْ تكون فتاواه أقرب إلى الواقع، من باب أنه الأقرب إلى فهم الواقع في هذا المجال ولا علاقة للجوانب الأخرى.

فلذلك لم يشترطها حتى الإمام الخميني الذي كان يتحرك في المرجعية بطريقة واسعة، ويدعو إلى أنْ يأخذ المراجع بأسباب المسؤولية السياسية وما إلى ذلك، لكنّه في مسألة التقليد يؤكد على المسألة العلمية في هذا المجال ولا يؤكد على المسائل الاخرى.

إنني من الأشخاص الذين لا يقولون بالأعلمية شرطاً في المرجعية، ولكنني عندما أتحدث حتى في الجو العام، الذي يرى الأعلمية أساسية في هذا الموضوع، أجد أنّه لا بدّ أن نضيف إلى الأعلمية في الفقه والأصول، صفات أخرى ليكون فيها الإنسان مرجعاً لا مفتيا، لأنّ المسألة المطروحة الآن في الواقع أنّ الأعلمية تعني التقدّم في الفتيا ولكنها لا تعني التقدم في الجانب الأخر.



فإذا أُريد للأعلم في الفتيا الذي يقلّده الناس أن يكون مرجعاً للشيعة لما للمرجعية من سعة، فلا بدّ أن تتوفر فيه خصائص أخرى يمكن أن يطل من خلالها على الجانب الآخر الذي يمكن أن يكون مرجعاً فيه، وإلا فكيف يكون مرجعاً فيما لا يملك خبرة فيه؟

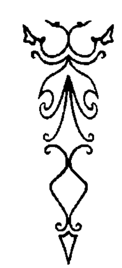


مسؤولية بناء العصر المرجعي الجديد

لاشك، أنّ كلاً من العلماء والأمة مسؤولون عن ذلك، فالعلماء يتحمّلون المسؤولية من خلال توجيه الأمة نحو هذا اللون من المرجعيات الرائدة المنفتحة على حاجات العصر. إنّ العلماء بحاجة إلى أن يوجّهوا الأمة إلى الخطوط الجديدة للمرجعية التي تحمل، إلى جانب الخطوط القديمة، خطوطاً جديدة، باعتبار أنّها تضيف إلى الثقافة الأصولية الفقهية، ثقافة اجتماعية حركية، تنفتح على أهل الخبرة في كلّ مواقعهم لتتكامل معهم ولتستفيد منهم، وتنطلق للواقع الذي يعيشه الناس لتعالج مشاكلهم.

أما بالنسبة إلى الأمة، فإنّ عليها، عندما تعيش الفراغ في حاجاتها ومشاكلها وتحدياتها، وعلامات الاستفهام التي تدور في واقعها، فلا تجد للمرجعية دوراً في كلّ هذا، إنّ عليها أن ترفع الصوت عالياً من أجل أنْ تضغط على العلماء ليتحرّكوا في هذا الاتجاه، وتضغط على المرجعيات لتتحرك في توجهات جديدة





تفسح المجال لهذا النمو التطوري الذي يطوّر حركة المرجعية وخطوط المرجعية في المستقبل.

إننا نتصّور أنَّ هذه المسألة تحتاج إلى جو مشترك يتكامل من خلال حركة العلماء وحركة الأمة مع العلماء ليتمكّن من إيجاد العوامل المؤثرة لعملية التطوير في المجتمع وليتمكّن من خلال ذلك ولادة مشاريع مرجعية، ولو في دوائر صغيرة، بما يمكن أن يكون حالة جنينية للمرجعية المنفتحة في المستقبل.



رَحَلْتَ فسالَ الدمعُ من مقلة عبرى
وأوقدتَ في قلبِ الهدى النارَ والجمرا

نماكَ إلى حضنِ النبوّاتِ أحمدٌ
وَشَدَّتكَ للأمجادِ فاطمةُ الزَّهْرا

وَسَطَّرْتَ في سِفْرِ الملاحمِ مصحفاً
تَمَنَّتْ بهِ العلياءُ لو أصبحت سطرا

حسين الشامي

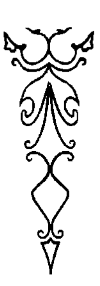
الفصل الثالث

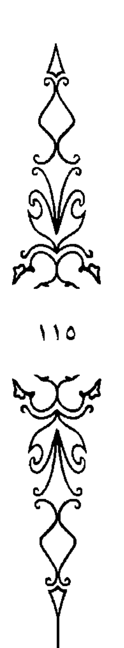
أضواء على الأزمة المفتعلة





١١٤





في مطلع التسعينيات أثار بعض المغرضين، أزمة حادة استهدفوا بها سماحة السيد فضل الله، وكانت الأزمة تقوم على أساس أنّ سماحة السيد فضل الله «عليه الرحمة» تحدّى المشاعر الشيعية فيما يتعلق بسيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام.

وقد أثار الأزمة بعض المشبوهين الذين كشفت التجارب فيما بعد أنّهم أعداء الحركة الإسلامية وأنّهم يعملون ضد الجمهورية الإسلامية في ايران، وضدَّ قائدها السيد الخامنئي «حفظه الله»، وقد لاحق بعضَهم القضاءُ الإسلامي في إيران فاضطروا إلى الهروب.

كما أنّ بعضهم الآخر ترك إيران وأخذ يتحدّث علناً في الصحافة بما يسيء إلى الجمهورية الإسلامية وإلى قياداتها البارزة.

لقد استغل هؤلاء مشاعر الناس البسطاء وشوّهوا آراء السيد فضل الله، وحرّفوا أقواله في عملية تزوير مبرمجة وهي مخالفة للشرع والأخلاق والأمانة العلمية.

والحملة المغرضة على آية الله العظمى السيد فضل الله، تشبه إلى حد بعيد تلك الحملة الظالمة التي تعرّض لها المصلح الكبير السيد محسن الأمين العاملي «قدس سره»، عندما أراد


السيد محسن الأمين

إصلاح الشعائر الحسينية، فأعلن حرمة بعض مظاهرها التي تسيء إلى الإسلام وتخدش المذهب الحق، فقام عليه خصومه وحسّاده ووصفوه بالخارج عن التشيع، وغير ذلك من الأوصاف.

وهو الذي دافع طوال حياته عن التشيع لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، وقدّم في هذا السبيل الخدمات الجليلة على المستوى العلمي والاجتماعي، و التي لا تزال نتائجها ممتدة في عالم التشيع إلى الآن.

لكنَّ المغرضين شنّوا عليه حملة شعواء ظالمة، لم تستند إلى عقل أو دين أو حق، كانت باطلة في مرتكزاتها ومنطلقاتها وأهدافها وأغراضها، فلم تستمرّ طويلاً، ومضت الأيام حتى برهن الزمان على أفضلية السيد محسن الأمين على خصومه، وأثبت أنَّ أعداءه أثاروا زوبعة في فنجان، ورسموا أحلامهم على رمال متحركة، سرعان ما أزالتها الرياح.

كتب الأديب المرحوم الأستاذ جعفر الخليلي عن تلك الفترة بتفصيل جميل، وتحدّث عن الأساليب التي اتخذها خصوم



السيد الأمين لإسقاطه جماهيرياً، ومن ذلك أنّهم أطلقوا على المؤيدين له إسم «الأمويين» في مقابل «العلويين» الذي يقفون ضده.ونختار مقطعاً مما كتبه والذي يتحدّث فيه عن نهاية المعركة التي كانت لصالح السيد الأمين «قدّس سره».

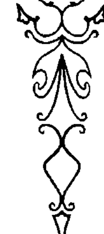
«وجاءت الأخبار تنبئ أنّ السيد محسن «رحمه الله» قادم إلى العراق، فاختلف أنصاره في أمر هذا القدوم، فمنهم من رجَّحه، ومنهم من لم يرجِّحه، ذلك لأنّ الفتنة فتنة «الأمويين» و«العلويين» لم تكن قد خمدت بعد تماماً. وأنّ ردّ الفعل وإن كان قد بدا أخفّ من السابق ولكنّه لم يكن بحيث يستهان به أو تتجاهل عواقبه.

وقد كتب البعض إلى السيد محسن ينصحه بتأجيل قدومه إلى وقت أنسب وذلك خشية أن يلقى ما لا يليق به من الإعراض والتنديد والتحرّش، بصفته البطل الأول في تلك الدعوة التي مسّت «السواد» في الصميم.

ولكنّ السيد محسن كان جريئاً وكان غير هيّاب، فتحرك من دمشق، ولست أدري كيف انقلب الوضع مرة واحدة وكيف دبّت في النفوس روح جديدة! فإذا بالجماهير كلّها تتحرك، وتستعد لاستقباله، وجاءت إشارة المرجع الديني السيد أبي الحسن بوجوب التهيؤ لاستقبال السيد محسن ملهبة لشعور الناس، فإذا به يُستقبل استقبالاً لم تشهد النجف نظيراً له في كلّ المناسبات الماضية.

وإذا بالسرادق الكبير وهو أكبر ما تملك النجف يقام خارج

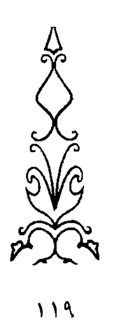




المدينة، فلم يبقَ عالم أو تاجر أو وجيه أو وضيع، دون أن يخرج إلى استقباله على نحو من الجلال الذي لا يوصف، وإذا «بكلو الحبيب» وهو من الزعماء ومن وجوه الطبقة التي يسمونها «بالمشاهدة» والمعروفة باستخدامها السلاح في حلّ مشاكلها، إذا «بكلو الحبيب» الذي كان دعامة للسيد صالح الحلي وأكبر خصوم السيد محسن الأمين، إذا به يدنو من السيد محسن، ويأخذ يده وينهال عليها بالتقبيل، مرّة بعد أخرى، وهو يقول ويردّد هذا المضمون «لعن الله من غشّني فصوّرك لي أُموياً فها هو ذا وجهك النوراني يشع بالإيمان فاغفر لي سوء ظني واعف عني، فإنما الذنب ذنب أولئك المغرضين المارقين الذين شوهوا الحقائق وقالوا عنك ما قالوا..»[1].

لقد رفع أولئك المحاربون راية الاستسلام أمام السيد محسن الأمين، والذي دفعهم إلى ذلك، هو أنّ معركتهم لم تكن قائمة على مبدأ صحيح، ولم يتجمعوا على حق، وكان معظمهم قد سار وراء الموجة معصوبي العينين، فقد ملأ أقطاب الفتنة عقولهم بالأكاذيب.لكن الأكاذيب لا يمكن أن تظلّ هي الحاكمة فما هي إلّا غمامة تقشعها شمس الحقيقة الساطعة.

(١) جعفر الخليلي، هكذا عرفتهم الجزء الأول، ص ٢١٥ـ٢١٦.



«إذا ساء فعلُ المرءِ ساءت ظنونهُ
وصدّقَ ما يعتادهُ مِنَ تَوَهُّمِ»

المتنبي

دوافع الأزمة

ما هو السبب أو الأسباب التي جعلت هذه الأزمة تستعر ضدّ آية الله العظمى السيد فضل الله، لاسيما وأنّها كانت تسير بشكل مخطّط ومنظّم، ولم تصدر بشكل عشوائي.

في تقديرنا أنّ التأمل في تاريخ انطلاق هذه الأزمة يلقي الضوء على بعض دوافعها.

فلقد بدأت لأول مرة عام ١٩٩١م، وكان محرَّكها شخص كان يعمل ضابطاً في الشرطة الكويتية، حيث وزّع شريطاً صوتياً لسماحة السيد فضل الله في جلسة صغيرة، وقد أجاب سماحته على سؤال وُجِّه إليه حول صحة رواية كسر ضلع الزهراء عليها السلام وإسقاط جنينها، إثر هجوم عمر بن الخطاب على الدار لأخذ البيعة لأبي بكر. وقد أجاب السيد بأنّ الرواية عنده موضع دراسة وهو لم يقطع برأي حولها.

لقد استغل هذا الشخص التسجيل الصوتي، ووزعه على نطاق واسع في مدينة قم المقدسة على وجه التحديد، وكان معه من

راح يردّد أنّ السيد فضل الله يقول إنّ عمر بن الخطاب لم يكسر ضلع الزهراء ولم يُسقط جنينها، فهو عدو للزهراء، وهو ليس شيعياً، وغير ذلك من الكلام الذي يتنافى مع لغة العقل والمنطق والحوار العلمي.

كانت هذه الحركة وكما أشرنا تستند إلى جماعة منظّمة تهدف إلى إثارة الأزمة ضد سماحة السيد على نطاق واسع، فبعد هذه البداية بأسابيع أصدر أحدهم كتاباً يكيل فيه التهم للسيد فضل الله، والكتاب هذا يذكّرنا بما كتبه ذلك الرجل في هجومه على السيد محسن الأمين، والذي ضمنه أقوالاً لا تستحق النقاش، لكنّ السيد الأمين قدس سره، ردّ عليه ردّاً علمياً أظهر فيه بُعْدَ صاحبه عن المنطق العلمي، والبحث الموضوعي كلّ البعد، فقد كان عبارة عن تهم انفعالية لا تصمد أمام لغة الدليل والحوار العملي.

كان هذا الكتاب ضد السيد فضل الله، قد هُيّىء قبل فترة من إعلان الأزمة، وعندما تمّ إعلانها، صدر الكتاب في مدينة قمّ المقدسة، وقد تضمن آراء غريبة، اعتبرها مؤلفه على أنّها مؤاخذات علمية ضدّ السيد فضل الله. فمنها على سبيل المثال أنه يأخذ على السيد فضل الله قوله:

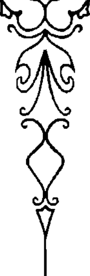
«وكان الإمام الصادق يحدّث بعض حديثه ويفتي ببعض فتاواه ويقول إنه من مصحف جدتي الزهراء».



فيعترض الكاتب اعتراضاً حاداً ويعتبر هذا الكلام تحريفاً، لأنّ إسم المصحف هو مصحف فاطمة!.

ومنها أيضا اعتراض الكاتب على السيد فضل الله وصفه للزهراء عليها السلام بأنها إنسانة وأنثى!.





وعلى هذه الشاكلة كتب هذا الرجل كتابه، وبإمكان القارئ أن يتصور معنى الحملة والإشكالات المزعومة على سماحة السيد فضل الله.

وقد فرّ هذا المسكين من الجمهورية الإسلامية بعد إصدار كتابه بأسابيع، لأنّه كان ملاحقاً من قبل القضاء الإسلامي، والجدير بالذكر أنّ التهمة التي لاحقه القضاء الإسلامي عليها، كانت لها جذور وبدايات منذ كان في النجف الأشرف.ولا أريد الحديث هنا عن هذا الموضوع.

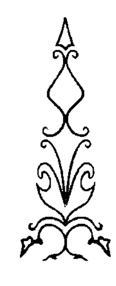
كما فرّ أيضا الضابط الكويتي الذي كان يموّل الحملة مالياً وأقام خارج الجمهورية الإسلامية ليمارس نشاطه المعادي من هناك، بعد أن أغدق الأموال بسخاء على كلّ من يتعاون معه ضد السيد فضل الله.

أما دوافع هذه الأزمة المفتعلة فيمكن حصرها بما يلي:

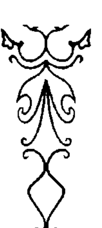
أولا: العداء للحركة الإسلامية ولخط الإمام الشهيد الصدر.

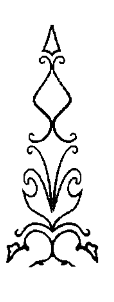
ثانيا: الخوف من المرجعية الحركية الواعية.

ثالثا: الموقف العدائي من الثورة الإسلامية في إيران.



هذه هي أهمّ وأبرز دوافع الأزمة التي أكلت من الجسم الشيعي، وشغلت أوساطه عن التحديات الكبيرة التي يواجهها، وعن مسؤوليات علماء ومراجع الدين ودورهم الحقيقي في معركة الإسلام الحقيقية ضد أعدائه.وسنتحدث باختصار عن كلّ عامل من هذه العوامل.





«ولا تعجلنَّ إلى تصديق ساعٍ، فإن الساعي غاشٌ، وإن تشبّه بالناصحين».

الإمام علي عليه السلام

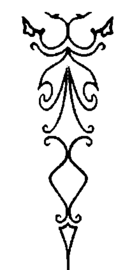
أولاً: العداء للحركة الإسلامية ولخط الشهيد الصدر



المرجع السيد الشهيد الصدر

قبل أن تتّجه الحراب إلى آية الله العظمى المجاهد السيد محمد حسين فضل الله، كان أصحابها يحاولون غرزها في





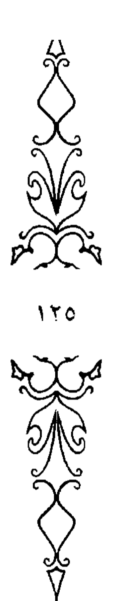
قلب الحركة الإسلامية التي أسسها الإمام الشهيد محمد باقر الصدر، وسار أبناؤها على نهجه الإسلامي الأصيل.

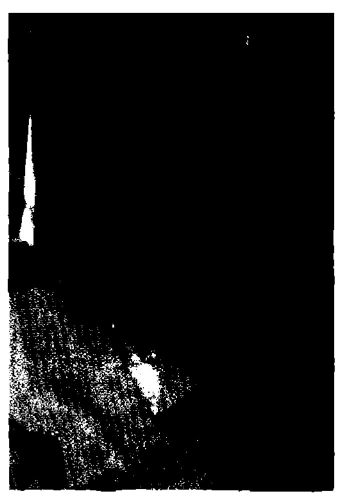
فلقد تفنّن هؤلاء في اختلاق مختلف الأجواء من أجل إثارة الغبار في وجه الحركة الإسلامية، في الوقت الذي كانت تبذل الدماء بسخاء على مختلف خطوط الصراع والمواجهة خصوصاً في زنازين السجون في بغداد وتحت التعذيب الوحشي للنظام الحاكم في العراق.

لم تكن المعادلة تحتاج إلى تفسير وإيضاح، فالنظام البعثي كان يريد القضاء على الحركة الإسلامية بأي شكل من الأشكال، وفي هذا الجو الحسّاس، رفع هؤلاء شعار القضاء على الحركة الإسلامية من الداخل. أيّ أنّهم كانوا يريدون تحقيق نفس الهدف الذي يريده نظام صدام حسين المقبور.

إنَّ العداء للحركة الإسلامية ينطلق في حقيقته من موقف ثابت معادٍ لعموم التحرّك الإسلامي، ولرمزه الكبير الخالد الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر، لذلك كانت حربهم تتجه ضدّ الحركة وضدّ رمزها المؤسس.وقد واجهوا في هذه الحرب عقبتين:

الأولى: تمثلت في صعوبة إسقاط الحركة الإسلامية وجرّها إلى معركة جانبية، فبينما كان هؤلاء يكيلون التهم الباطلة ضد الحركة الإسلامية، كان أبناؤها المجاهدون يملأون كلّ





المحقّق السيد مرتضى العسكري

مواقع الجهاد وساحاته، تضحية وصموداً. فلم يكن أمامهم سوى الاستمرار في خلق التهم في غرفهم المظلمة، حتى ملّوا من هذه الحرفة الدنيئة التي لا توصل إلى أيّ نتيجة، فكان أن قرروا التصدي لضرب قواها الداعمة من علماء ورموز إسلامية كبيرة.

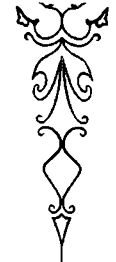
الثانية: لم يكن بمقدور هؤلاء أن يتوجهوا بحربهم مباشرة إلى شخص الإمام الشهيد الصدر، لأنّ ذلك سيجعلهم مكشوفين أمام الأمة، كما أنّ الأمة الإسلامية لن تسمح لأيّ جهة أو شخص مهما كان مملوءاً بالمال أن ينال من شخص القائد الشهيد، لذلك قرروا أن ينالوا من الشخصيات التي تمثل امتداداً للإمام الشهيد، فأشرعوا حرابهم ضد اثنين من أبرز الشخصيات التي تمثّل خطّ الشهيد الصدر، وهما العلامة المحقّق السيد مرتضى العسكري «رحمه الله»، وآية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله «طاب ثراه».

فقاموا بكتابة المقالات وإصدار المنشورات التي تثير الشبهات على العلامة العسكري، والملفت بالأمر أنّ أحد هؤلاء كتب مقالاً في مجلته - التي أغلقتها الجمهورية الإسلامية فيما بعد - يأخذ



على السيد عدم فهمه للفكر الشيعي!.ولو كان هذا المسكين قد أثار عليه تهمة أخرى لكان أهون عليه، فالسيد العسكري رمز شامخ في عالم التشيع والفكر الإسلامي عامة، وهو الذي قدّم الخدمات العظمى للفكر الشيعي والإسلامي من خلال مؤلفاته الرائدة ذات الطابع العلمي المتين، ولعلّ كتابه عبد الله بن سبأ وكتاب خمسون ومائة صحابي مُختلَق تُعدُّ من أكثر الكتب شهرة وإبداعا في تحقيق قضايا التاريخ والتراث.





أمّا السيد فضل الله فقد أثاروا عليه الإشكالات التي ذكرناها سابقاً، والتي كانت انطلقت من تقديرهم بأنّه يمثّل خطّ الوعي الحركي الإسلامي الأصيل.

وقد كانت هجمة كبيرة تحرّكها أيدي خفية وأصابع خبيثة تستهدف تحطيم مرجعية السيد فضل الله وإبعاد شخصيته الحركية عن واقع الأمة الإسلامية وجماهير شيعة أهل البيت عليهم السلام.

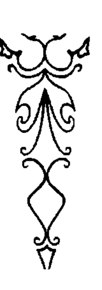
ولكنّ أوراقهم الصفراء التي تكشفت أحقادها لكلّ ذي عينين، قد تمزقت أمام شجاعة فضل الله وصبره وحلمه وأمام وعي الأمة وحضورها الفاعل في الساحة، فإذا بالسيد فضل الله -الرجل والمبدأ- رغم تلك الهجمة الظالمة المنظّمة يزداد عمقاً وامتداداً في واقع الأمة ويتحوّل إلى رمزٍ شامخٍ للوحدة والاعتدال والتقريب في وجدانها.حتى باتت شخصيته المحببة لها حضورها الواعي والتماعها المتميز في مختلف المواقع

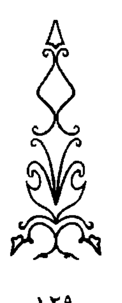
الثقافية والساحات السياسية والإجتماعية.

ولم تعد شخصية السيد فضل الله تتحرك في دائرة النُّخَب المثقفة، والفئات الأكاديمية المتعلمة، بل أصبحت تتحرك في فضاء واسع ولها آفاق رحبة في عقول وقلوب الشباب والعامة من الناس، ولا أدلّ على ذلك الحشود الهائلة التي خرجت في رحيله نادبةً حزينةً على فراقه.



١٢٨





«لا يزيدني كثرة الناس حولي عزةً، ولا تفرّقهم عني وحشة».

الإمام علي عليه السلام

ثانياً: الخشية من المرجعية الحركية الواعية

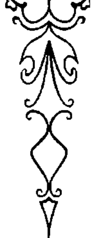
استعرضنا في كتابنا «المرجعية الدينية من الذات إلى المؤسسة» مشاهد ومواقف تبيّن ما تعرّض له الإمام الشهيد الصدر من مضايقات وتحديات من داخل الحوزة العلمية.

وكانت هذه التحديات نابعة من التقليديين والنفعيين الذين تصوّروا أنّ مرجعية الإمام الشهيد الصدر تُضعِف المرجعيات التقليدية، فعملوا على إضعافها بشتى السبل. لكنّ الحقيقة غير ما تصوروا، فلم تكن مرجعية الإمام الشهيد لتتعارض مع المرجعيات التقليدية، بل إنّها كانت تسعى إلى دعمها وإبقائها مصونة في الساحة من التحدي المعادي للإسلام.

لأنّ الوعي الذي امتلكته مرجعيته «قدس سره»، كانت ترى أنّ الوجود الإسلامي كلٌّ لا يتجزّأ، وأنّ إضعاف أيّ طرف إسلامي، هو بالنتيجة إضعاف للوجود الإسلامي.







لكنَّ هذه الحقيقة لم يفهمها التقليديون، وخاصة الحواشي المتخلّفة المرتبطة بالمرجعيات التقليدية، فقد كانت تنظر إلى عالَمَ المرجعية نظرة ضيقة، لا تخلو من الحسابات الذاتية المغلقة، وهذا ما جعلها تهتمّ بالصراع الداخلي دون أن تهتمّ أبداً بالصراع الخارجي الكبير والخطير الذي يتعرّض له الوجود الإسلامي من قبل السلطات الظالمة والدوائر المعادية للإسلام.

وقد ظلّت هذه النظرة هي الحاكمة لمعظم المرجعيات التقليدية، وهي ثغرة خطيرة في الجسم الشيعي.

وقد استغلّ المغرضون والمشبوهون هذه الثغرة فولجوا منها لإدارة الحملة ضدّ أيّ مرجعية حركية واعية، لاسيما إذا كانت تمثل الامتداد الطبيعي لمرجعية الإمام الشهيد الصدر، وهذا ما جعلهم يستهدفون مرجعية السيد فضل الله لأنّهم وجدوا فيه المكمّل الفكري والحركي لخط الشهيد الصدر.

والذي يؤكّد هذه النظرة أنّ الحملة المغرضة ضد السيد فضل الله انطلقت بشكل مكثف بعد وفاة الإمام الخميني والسيد الكلبايكاني «قدس سره»، وخلوّ الساحة تقريباً من المرجعيات الكبيرة المعروفة، فقد برز السيد فضل الله في تلك الظروف كمرجع له بريقه لِمَا يتمتع به من قدرات وإمكانات ووعي وثقافة عصرية، يفتقر إليها كثير من العلماء التقليديين.وهذا يعني





المرشد آية الله السيد علي خامنئي

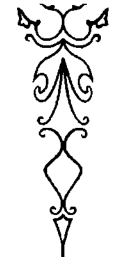
أنّ خط السيد الشهيد الصدر في المرجعية، سيتجدّد في مرجعية آية الله العظمى السيد فضل الله. يُضاف إلى هذا عامل آخر، ذاك هو بروز آية الله السيد الخامنئي قائد الثورة الإسلامية كشخصية قائدة لها وزنها الثقافي والاجتماعي، لما يحظى به من إمكانات كبيرة على مستوى إدارة الدولة وقيادة المجتمع، وباعتباره المكمِّل لخط الإمام الخميني «قدس سره».

وبذلك وجد المغرضون أنّ المرجعية الحركية الواعية ستمتلك هذه المرة قوة هائلة، فالتقارب الفكري والسياسي واضح بين السيدين الخامنئي وفضل الله، وهما متحدّان في التوجهات الاستراتيجية والوعي الحركي، والنظرة الشمولية لمشاكل الأمة، والفهم الدقيق لموقع الإسلام في معركته الحضارية ضدّ قوى الاستكبار، كلّ هذا يعني أنّ الاتجاه الحركي في المرجعية سيكون هو الغالب في عالم الشيعة، وهذا يعني في المقابل أنّ الاتجاه التقليدي سينحسر في القريب.

في ضوء هذه المعطيات قرّر المغرضون والحاسدون الجَهَلَة



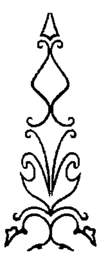
أن ينالوا من المرجعية الحركية بشكل سريع ومكثّف قبل أن يحدث التلاحم العملي بين مرجعيّتَي السيد الخامنئي والسيد فضل الله. ولأنّ استهداف مرجعية السيد الخامنئي عملية صعبة، قرر هؤلاء النيل من مرجعية السيد فضل الله.وكانت أمنيتهم لو أنّ شرخاً يحدث بين السيد الخامنئي والسيد فضل الله، فهذا هو المطلوب في مخططهم الاستراتيجي.



وقد حاولوا ذلك في عدة مناسبات، حتى إنّ أحدهم ألقى قصيدة شعرية ينال فيها من السيد فضل الله، خلال اللقاء الأسبوعي العام الذي يعقده سماحة السيد الخامنئي كلّ يوم إثنين، لكنّ مرشد الجمهورية الإسلامية ردّ بشدة على صاحب القصيدة، واعتبر ذلك عملاً غير لائق، وأصدر تعليماته بسرعة الاتصال بالسيد فضل الله وإحاطته علماً بما حدث وموقف السيد القائد مما حدث.

في تصوّري أنّ هذه الحادثة كانت محاولة لجس النبض من قبل المغرضين، وخطوة تتبعها خطوات أكبر، لكنّ السيد الخامنئي أحبط اللعبة منذ البداية.إلّا أنّ المحاولات ظلّت متواصلة لسنوات طويلة.

بعد ذلك اتّجه المغرضون والمشبوهون والتقليديون إلى إثارة الأزمة على مستوى أكبر فقد قرّروا جرّ المرجعيات إلى صراع داخلي، وذلك بأن يكون المراجع ضد السيد فضل الله،



وفجأةً صدر بيان يحمل أسماء عدد من مراجع النجف الأشرف يتهجَّم على آراء السيد فضل الله، والبيان في حقيقته كان ورقة مزورة افتراها هؤلاء المتصيّدون في الماء العكر. وقد انكشفت المؤامرة عندما كذّب مكتب سماحة السيد السيستاني حفظه الله، ما نُسب إليه.

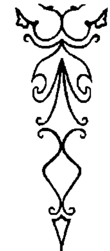
كانت ذكرى وفاة الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، مناسبة سنوية لإشعال الأزمة وتجديدها، وهكذا حوّل هؤلاء مناسبات المعصومين عليهم السلام توقيتاً لبثّ الفتن والاختلاف بالباطل، بدل أن يعمّقوا خط أهل البيت عليهم السلام في نشر فضائلهم وجمع الأمة على نهجهم الحق الأصيل.وبذلك فقدت مناسبة وفاة الزهراء عطاءاتها الروحية والمعنوية، وحوّلوها إلى معترك ساخن، استخدموا فيه التزوير وقلب الحقائق، مدّعين أنّهم ينتصرون للزهراء، في حين أنّ الزهراء قامت ضد الذين زوروا وكتموا الحق وغصبوه أهله.والعبرة واضحة هنا لا تحتاج إلى إيضاح.

وحدث في إحدى المناسبات أن صدر بيان موقّع من قبل ثمانية علماء في قم المقدسة ينالون من شخص السيد فضل الله، ويعتبرون أنّ آراءه منحرفة.لكن صدر في أعقابه مباشرة بيان من قبل جمع من طلبة الحوزة العلمية في قم المقدسة تضمن حواراً مع أحد الموقّعين الثمانية، حول الأسس التي استند إليها في إدانة السيد فضل الله، ولم يستطع هذا العالم أن يدافع



عن وجهة نظره، ووقع في مغالطات متتالية حتى اضطر أن ينهي الحوار بخشونة، بعد أن أعياه الحوار العلمي السليم.

وتوالت بعد ذلك هذه المحاولات وكان أهمها جرّ مراجع الدين في قم المقدسة إلى هذه الازمة، وقد نجحت المحاولات في جرِّ اثنين منهم إلى حلبة الصراع هما الميرزا الشيخ جواد التبريزي و الشيخ الوحيد الخراساني.

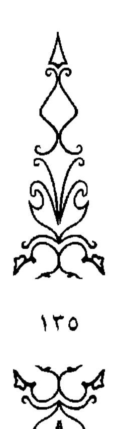


وقد أدرجنا في الملحق الوثائقي بعض نصوص المراسلات والبيانات الصادرة في هذا الخصوص.

برز في تلك الأجواء الساخنة آية الله الشيخ حسين النوري الهمداني، ليمثّل ظاهرة في هذه الأزمة، فقد بدأ معارضاً الاتجاه المغرض، وأصدر عدّة بيانات وتصريحات تؤيّد السيد فضل الله، وتدافع عنه بقوة. لكنّه في شهر آب ١٩٩٨م، تحوّل إلى الاتجاه الآخر، دون سابق إنذار. ولم يكن يملك مبرراً منطقياً لهذا التحوّل في الموقف.

في البداية وقف الشيخ النوري موقف الباحث عن الحق والحقيقة، فقد وقف عند الشبهات المثارة على السيد فضل الله، وأراد أن يعرف الحقيقة كما هي، فبعث برسالة إلى السيد فضل الله يستفسر فيها عن آرائه في الموارد التي أثارها وأجابه السيد فضل الله برسالة واضحة بيّن فيها رأيه في كلّ مورد من الموارد.

كما قام الشيخ النوري الهمداني بزيارة إلى بيروت عام



١٩٩٧م، حيث التقى بالسيد فضل الله وتحدّث معه مباشرة عن آرائه والشبهات التي يثيرها المغرضون حوله، وعاد إلى قم وهو يحمل صورة واضحة عن الموقف، فقد أعلن رأيه صراحة بأنّ آراء السيد فضل الله لا غبار عليها، وأنّه يحمل فكر أهل البيت عليهم السلام الأصيل، وعارض الاتجاه الذي يحاربه ويحاول إثارة الشبهات حوله.

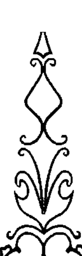
وقد تعرّض الشيخ النوري نتيجة مواقفه هذه لحملة تشويه قادها ضده المغرضون، وكانت هناك محاولات خفية للضغط عليه، من أجل دفعه إلى التخلي عن موقفه المؤيد للسيد فضل الله.

وقد فوجئ الجميع بصدور بيان من الشيخ النوري، يتراجع فيه عن مواقفه السابقة، ويعلن عدم تأييده للسيد فضل الله، وقد برّر ذلك بأنّه كان يؤيّده على مواقفه السياسية وليس الفكرية، وقد شكّك في هذا البيان باجتهاد السيد فضل الله.

وقد كان البيان ضعيفاً لأنّه كان يناقض البيانات السابقة للشيخ النوري، فقد ذكر الشيخ سابقاً أنّ السيد فضل الله عالم مجتهد بارع، وأعلن أنَّ آراه العقائدية هي أفكار صحيحة لا غبار عليها، وأنّ الذين يتعرّضون له، إنّما يهاجمونه بدافع الصراع على المرجعية، وأنهم متأثرون «بالدينار الكويتي، أو الريال السعودي».

وعندما كان يستفسر طلبة الحوزة العلمية منه عن سبب هذا

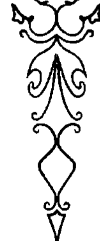
التحوّل، كان يجيب بأنّه تعرّض لضغوط كبيرة، وهذا الجواب يمثّل إدانة له، لأنّ المفروض من عالِم الدين أن يقول الحق، لا أن يخضع للضغط.



كان يرافق كلّ هذه التطوّرات والأحداث صدور العديد من الكرّاسات والمنشورات التي كانت تُلقى في شوارع قم المقدسة وهي خالية من التوقيع والأسماء الصريحة. في حين كانت هناك الكثير من المنشورات والبيانات التي تصدر في مختلف البقاع، وهي تقف إلى جانب آية الله العظمى المرجع السيد فضل الله، وتدين الحملة المغرضة التي يثيرها المنتفعون المتصيّدون في الماء العكر.



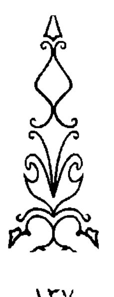




وهناك ملاحظة جديرة بالتأمل وهي أنّ الحملة كانت تستعر في بعض المواقف والظروف التي تهمّ المسلمين عموماً والتي يسجّل فيها السيد فضل الله موقفه الصريح، مثل انعقاد مؤتمر شرم الشيخ، حيث شجب السيد فضل الله هذا المؤتمر بعنف وكشف خفاياه وما يراد منه، فسارع المغرضون إلى تصعيد حملتهم ضده، وكأنّهم يريدون التعمية على القضية الأهم التي تمس واقع المسلمين.

كان الغرض كما أشرنا هو النيل من شخصية السيد فضل الله كمرجع، ولو أنه لم يتصدَّ للمرجعية لَمَا تعرّض إلى سهام هؤلاء وحرابهم.

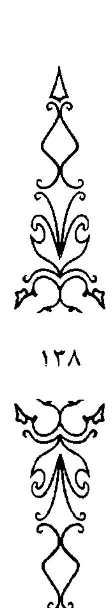
لكنّ هؤلاء لم يستوعبوا حقيقةً اجتماعيةً مهمة، وهي أنّ

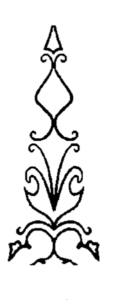


بعض المراجع لا يتصدون إلى المرجعية بمعنى السعي إليها، إنّما المرجعية تأتي إليهم طوعاً نتيجة موقف الأمة وحاجتها إلى قيادتهم الرائدة والرشيدة.

فالإمام الخميني والسيد الشهيد الصدر وغيرهما لم يطرحوا أنفسهم للأمة كمراجع إلّا بعد أن نادت الأمة بمرجعيتهم. والسيد فضل الله من هذا الطراز من الشخصيات الإسلامية، فهو لم يُرِدْ المرجعية هدفاً، إنّما الجماهير التي عرفت تاريخه وثقافته وفكره الحركي المؤثّر أرادته أن يكون مرجعها. وهذه الجماهير لن تغيّر موقفها ببيان مكذوب أو بأوراق صفراء أو بخطبة رجل انفعالي مهزوم.

إنَّ الجماهير بلغت من الوعي ما يمكنها من فرز الخطأ والصواب بلمحة عين، وهذا هو الذي حصل وسيبقى هو القانون في نظرة الجماهير إلى قادتها ومراجعها وعلمائها.





«الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له، والقوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه».

الإمام علي عليه السلام

ثالثاً: الموقف العدائي من الثورة الإسلامية في ايران ودفاع السيد فضل الله المستميت عنها

منذ بداية انتصار الثورة الإسلامية في إيران، وقف آية الله العظمى السيد فضل الله، مدافعاً عنها وعن قائدها الكبير الإمام الخميني قدّس سره، وكان يمثّل القوّة المتصدية لكلّ محاولات التشويه للثورة، وذلك عبر خطبه ومحاضراته ومقابلاته الصحفية وكتاباته، وقد أثارت مواقفه هذه أجهزة الاستكبار العالمي كما أثارت أعداء الثورة ضده.

لقد كان السيد فضل الله الشخصية الإسلامية الوحيدة التي وقفت بكلّ قوة وإخلاص للدفاع عن الثورة الإسلامية، فكان يتعامل معها على أنّها قضيّته ومسؤوليته، رغم أنّ هذا الموقف جعله يواجه تحديّات حقيقية، كان منها المحاولات العديدة

التي حاولت تصفيته جسدياً، لكنّ العناية الالهية أنقذته منها، ليواصل مشروعه الكبير في التوعية والإصلاح.

لم يكن أعداء الثورة بحاجة إلى التحليل والاستقصاء لمعرفة موقف السيد فضل الله، من الثورة الإسلامية، فلقد كان واضحاً ماذا تعني الثورة بالنسبة له، وقد أدرك المغرضون أنّه يقوم بدور كبير في نصرة الثورة دون مؤثّر لا يمكن تغافله لاسيما في خطبه المؤثرة ومقابلاته الصحفية المتكررة.

فشعر هؤلاء أنّهم أمام قوّة ضخمة تمتلك كلّ عناصر القوّة المتمثّلة في القدرة البيانية والخطابية، والفكر الحيّ الذي يحلّل ويفسّر ويكشف النقاب عن كلّ محاولات التشويه المبذولة ضد الثورة.

ولأنّ المغرضين لم يكن بمقدورهم مواجهة الثورة من الداخل، والنيل من قيادتها، لذلك بدأوا بآية الله العظمى السيد فضل الله، وهم في الحقيقة إنّما يستهدفون قيادات الثورة الإسلامية المخلصة.

وعلى هذا كانت حربهم المعلنة على السيد فضل الله، تمثّل في معناها العميق، الحرب على الوجود الحركي والثوري بأسره، وقد فكّر المغرضون أنّهم لو أسقطوا السيد فضل الله وأعاقوا حركته، فإنّهم سيحقّقون إنجازاً كبيراً يتمثّل في سلب الثورة الإسلامية من نصيرها القوي وسندها الواعي الذي يقف بصمود

أمام أجهزة الاستكبار العالمي والمخابرات الدولية.

ومن هنا وجدنا أنّ أعداء الثورة يَتَّحِدُون مع بعضهم البعض لشنّ الحرب الظالمة على السيد فضل الله، بعد أن أدركوا صعوبة شنّها ضدّ الجمهورية الإسلامية وقياداتها صراحة.

وقد أدرك المغرضون أنّ التلاحم بين السيد علي الخامنئي والسيد فضل الله يشكل جبهة إسلامية قوية لنصرة الإسلام وانطلاقته في الآفاق انطلاقة حركية واعية، الأمر الذي يضعف وجودهم بدون شك، ويحولّوهم إلى وجودات هامشية في الساحات الإسلامية، وهو مما لا ينسجم مع تطلّعاتهم وأهوائهم.

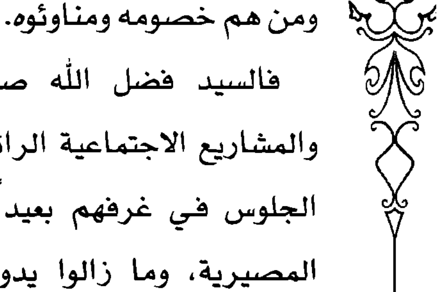
لذلك ركّزوا على أهمية فصل الشخصيَّتَين عن بعضهما، وإضعاف السيد فضل الله، كمقدمة لإضعاف السيد الخامنئي، وبذلك ينتهي التلاحم التاريخي بين الشخصيَّتَين.

وللأسف فقد مرّت هذه المؤامرة على بعض الأوساط، وتعاملت مع القضية ببساطة ما كان متوقعاً منها أن تسقط فيها.

وبشكل عام فإنّ الحملة المغرضة استطاعت أن تثير جوّاً من اللغط والضبابية في بعض الأوساط، لكنّها لم تستطع أن تمتّد إلى خارج إيران، وقد ظلت تعيش حالة من التحفّز المؤقت، حيث تطفو على السطح في مناسبات عاشوراء وذكرى وفاة الصديقة الزهراء عليها السلام ثم تنزوي في غرفها المغلقة بعد ذلك.



وفي تقديرنا أنّ الأزمة المفتعلة هذه لا يمكن أن تستمرَّ طويلا، لأنّ الحرب التي تمَّ رفعها باتت واهية تتكسر تدريجياً، كما أنّ الأمة سئمت هذه الممارسات التي لا تستند إلى المنطق العلمي والروح الإسلامية المسؤولة، كما أنّ أبناءها يعرفون جيداً من هو آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله (رض)، ومن هم خصومه ومناوئوه.

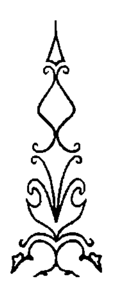


فالسيد فضل الله صاحب المدرسة الحركية البارزة، والمشاريع الاجتماعية الرائدة، أما خصومه فهم الذين آثروا الجلوس في غرفهم بعيداً عن هموم المسلمين وقضاياهم المصيرية، وما زالوا يدورون حول عُقَدهم المرضيّة التي أفقدتهم التوازن والاعتدال وعدم الموضوعية.

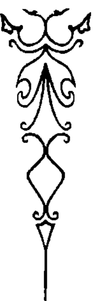
لقد قدّم السيد فضل الله مشروعاً ضخماً سار عليه طوال سنوات حياته الحافلة بالعطاء.

كان يهدف إلى تقديم الإسلام وفق رؤى حركية منهجية، وقد أعطى هذا المشروع ثماره طريّةً نضرة، من خلال الجو الثقافيّ والحركيّ الذي عاشته الساحات الإسلامية.

واستطاع أن يحرّك المضامين الفكرية الإسلامية الأصيلة في الاتجاه العملي بشكل واضح ولا يتعامل معها بشكل نظري تجريدي، باعتبار أنّ الإسلام هو فكر الحياة في كلّ عصر ومكان.

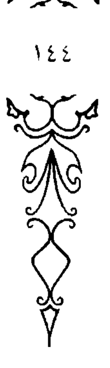


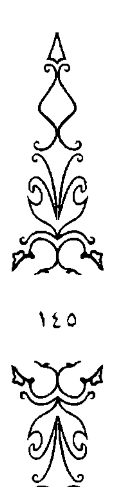
ولا بدّ أن يكون فكره متجهاً إلى الحياة في كلّ أبعادها واتجاهاتها..ليقدّم الحلول للمشاكل التي تواجه الإنسانية، ويصنع الإنسان الذي يحمل رايته للعالم بأسره، وليتبنّى المجتمع الإسلامي الأصيل.



هذه هي الملامح الأساسية في فكر السيد فضل الله، وهي نفسها ملامح الإمام الشهيد الصدر وغيره من كبار العلماء والقادة الذين ظهروا في فترات مختلفة من التاريخ الإسلامي الشيعي، وأرادوا التغيير والإصلاح، وكان لجهودهم المباركة المعطاء أثرها البالغ في مسيرة التحرّك الإسلامي، وفي نشوء الأجيال الإسلامية الهادفة في مسيرتها وحركتها وتوجّهاتها.







وقد تابعتُ نشاط هذه الدار في مختلف الجوانب الإسلامية.. فرأيتها شجرةً طيّبةً تؤتي أُكُلها كلّ حين بإذن ربّها. وقد كانت حُلُما في الماضي، وقد تحقق الآن بفضل جهود العلامة الجليل الثقة المجاهد السيد حسين الموسوي الشامي «حفظه الله»

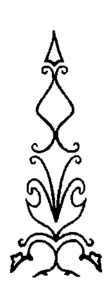
المرجع السيد فضل الله

الفصل الرابع

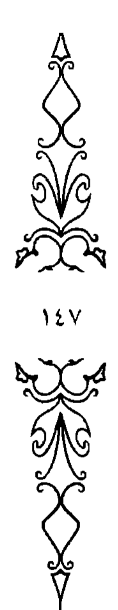
مؤسسة دار الإسلام
في مواجهة الأزمة، النشأة والأهداف



مؤسسة دار الإسلام







مؤسسة دار الإسلام الثقافية الخيرية التي تأسست عام ١٤١٣هـ ١٩٩٢م في لندن، تعدّ من المؤسسات الكبيرة التي كانت تلبية لحاجة الجاليات الإسلامية في بلاد المهجر بعد تزايد أعدادها بسبب الاضطهاد السياسي والطائفي الذي تعرّض له المسلمون في مختلف بلدانهم، وخصوصاً الهجمة الشرسة التي تعرّض لها الشعب العراقي إبّان الفترة المظلمة التي سيطر فيها نظام حزب البعث على مقاليد الأمور في العراق.

وخلال مدّة قصيرة أصبحت المؤسسة مركز إشعاع فكري وملاذاً روحياً لأبناء المسلمين، تقدِّم لهم المساعدات والإرشادات القانونية في مجال الصحة والتعليم والترجمة في القضايا القانونية وحقوق المهاجرين في شؤون الإقامة والحياة العامة في المهجر.

ومن يعرف دار الإسلام يعرف أنّها موقع متقدّم ينشر الإسلام وفكر أهل البيت عليهم السلام فهي مدرسة تعليم تدرّس أبناء وبنات المسلمين المقيمين في هذا المهجر معالم الدين وأحكام شريعة سيّد المرسلين.

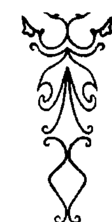
كما أنّها منتدى ثقافي تُلقى من على منبره المحاضرات الثقافية والتربوية، وتُعقد فيه الندوات الفكرية والاجتماعية.



وملتقى يرتاد مكتبتها المئات من المراجعين والمطالعين والدارسين والباحثين، إضافة إلى أنَّها مُصَلًّى تُؤدَّى فيه الصلوات اليومية، وصلاة الجمعة والعيدين.

ومؤسسة دار الإسلام تُعدُّ أيضاً نادياً حسينياً تُقَام فيه المجالس الحسينية، وتُحْيا الشعائر الإسلامية في ذكريات ولادات ووفيات الرسول الأعظم ﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام ومراسم العزاء في مناسباتهم، إلى غير ذلك من أمثال هذه الخيرات والمبرات.





الحجَّة الوقفية وشهادات العلماء

وقد حظيت مؤسسة دار الإسلام بدعم وتأييد مراجع الدين وعلماء المسلمين وشخصيات ثقافية وأدبية من خلال إجازاتهم الشرعية وشهاداتهم على صحة وَقْفيّة مؤسسة دار الإسلام الخيرية، وتحتفظ المؤسسة بنصوص هذه الشهادات وكلمات الدعم والتأييد لها من قبل علماء الأمة ورجالاتها الواعية ورموزها الثقافية والاجتماعية.

نذكر منهم العلامة المحقق السيد مرتضى العسكري «رحمه الله» والعلامة السيد عبد الله الغريفي «دامت بركاته» العلامة الشيخ محمد باقر الناصري «حفظه الله» والعلامة السيد محمد بحر العلوم «حفظه الله» والعلامة السيد فاضل الحسيني الميلاني «حفظه الله»، والعلامة الشيخ محسن الآراكي «حفظه الله»،



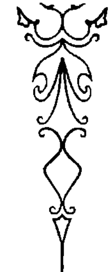
وفضيلة الشيخ ملّا أصغر علي محمد جعفر «رحمه الله» والعلامة السيد حسن جابر النوري «حفظه الله» والعلامة الشيخ الشهيد مهدي العطار «رحمه الله» والعلامة الشيخ محمد علي التسخيري «حفظه الله» والعلامة الشيخ محمد مهدي الآصفي «حفظه الله» وفضيلة الدكتور السيد محمد علي الشهرستاني «حفظه الله» والعلامة الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي «حفظه الله». غير أنّ إجازة وشهادة سماحة المرجع الراحل السيد محمد حسين فضل الله، كانت من أهم وأبرز هذه الشهادات للمؤسسة حيث وصفها بقوله: «...فقد اطلعت على هذه الوقفية الشاملة لدار الإسلام، المؤسسة الإسلامية الرائدة السائرة على خط الإسلام في نهج أئمة أهل البيت عليهم السلام والمنفتحة على الدعوة إلى الله، والعمل في سبيله، والانفتاح على قضايا الإسلام والمسلمين، ورعاية شؤونهم، ومتابعة مشاكلهم الفكرية والعملية، وقد كانت حلماً في الماضي، وقد تحقّق الآن بفضل جهود العلامة الجليل الثقة المجاهد السيد حسين الموسوي الشامي «حفظه الله» والأخوة المؤمنين من معاونيه...» إلى أن يقول: «...وقد تابعت نشاط هذه الدار في مختلف الجوانب الإسلامية المتصلة بإمكاناتها فرأيتها شجرة طيبة تؤتي أُكُلها كلّ حين بإذن ربّها، ولمّا كانت بحاجة إلى المساعدة المادية والمعنوية الدائمة لإكمال مشاريعها وتلبية متطلباتها ومصارفها فإنني أدعو إخواني المؤمنين للالتفاف



حولها ودعمها بمختلف وسائل الدعم المادي والمعنوي، فإنّ ذلك من أفضل القربات عند الله سبحانه وتعالى، وإنني أجيز دفع الحقوق الشرعية المنطبقة على مثل هذه المشاريع الإسلامية».

إنّ هذه الشهادة من قبل سماحة السيد فضل الله لمؤسسة دار الإسلام تعبّر عن نظرة تقييميّة واعية لدور المؤسسات والمراكز الإسلامية في بلاد الغرب، وهي تعكس العلاقة الحميمية بين سماحته ومؤسسة دار الإسلام وأمينها العام، حيث كان يوطّد آماله الكبيرة عليها في بلاد المهجر، وعلى هذا الأساس يحثّ المؤمنين ويدعوهم إلى دعمها والالتفاف حولها، باعتبارها قاعدة لحماية أبناء المسلمين من الضياع والانحراف في بلاد الغرب، ومنطلقاً للعمل الثقافي والاجتماعي هناك.









المهرجان السنوي لدار الإسلام

البرامج والنشاطات

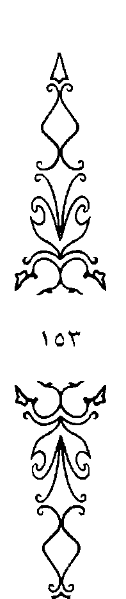
يقام في مؤسسة دار الإسلام الكثير من الأنشطة الثقافية والاجتماعية منها إصدار مجلة «الفكر الجديد» وهي مطبوعة دورية تصدر عن مركز البحوث والدراسات في المؤسسة، وتعنى بالفكر والثقافة ومشكلات الأمة وهموم الدعاة والعاملين في مختلف الساحات ومواقع الصراع والمواجهة الفكرية والسياسية.

كما أنّ المؤسسة أصدرت العديد من الكتب والدراسات، تناولت مختلف آفاق الفكر والمعرفة في مجالات السياسة

والاجتماع والتاريخ والقانون وقضايا الفقه المعاصرة، ومسائل التراث والأدب.

وقد أوْلَت المؤسسة اهتمامها الخاص لفكر وتراث الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر «رضوان الله عليه» باعتباره أحد أبرز المفكّرين المسلمين والفقهاء المجدّدين في التاريخ المعاصر.

كما اهتمت المؤسسة بفكر وحركة ومؤسسات المرجع الديني العلامة السيد محمد حسين فضل الله «عليه الرحمة» باعتباره امتداداً لمنهج وحركة سيّدنا الشهيد الصدر في إصلاح المؤسسة الدينية ومشروع المرجعية الموضوعية «الصالحة» وجعلها تتحرك بمستوى تحديات العصر.



«قـد عَـبَـرْتَ الـعـذابَ للضـفَـة الأُخــرى

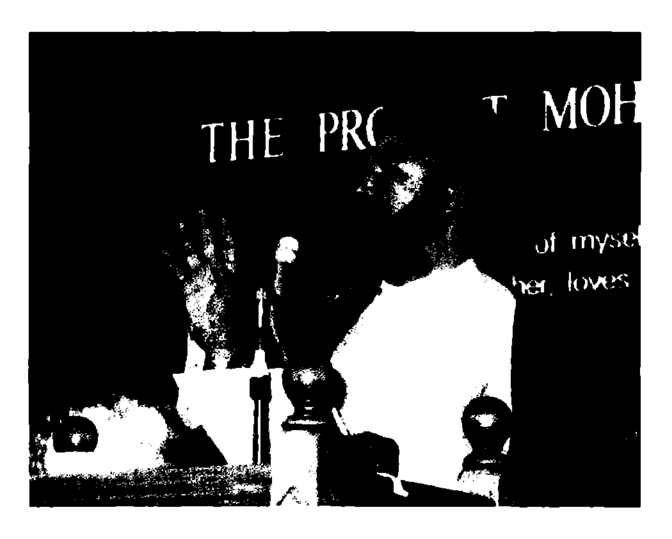
وقـــد أتـــعـــبَ الـــرجـــالَ الـــوصــــولُ

وحَـمَـلْـتَ الـمـجـدَ الـمـخـضَّـبَ فـرداً

شَــــرَفُ الــــسـيـفِ أنَّـــــهُ مـســلـولُ»

حسين الشامي

موقف دار الإسلام تجاه الأزمة



حينما تصدّى المرجع العلامة السيد محمد حسين فضل الله «قدس سره» لشؤون المرجعية والتقليد، وذلك استجابةً لرغبة الأمة من خلال الرسائل والطلبات الكثيرة المُلِحَّة من قِبَلِ

النُّخَب الواعية والشباب المثقف في مختلف البلدان والساحات الإسلامية، حيث بدأت تنهال عليه الأسئلة والاستفتاءات الفقهية المتنوعة ورغبة الأمة بإعلان مرجعيته وتصديه للتقليد.

وإزاء هذه الرغبة الشديدة من قِبَلِ مريديه وعارفي فضله، بدأ سماحة السيد محمد حسين فضل الله يتعاطى بروح إيجابية مع فكرة التصدي للمرجعية المؤسسة، والتي تقوم على أساس الموضوعية بعيداً عن طموحات الذات والمزاجية الشخصية.

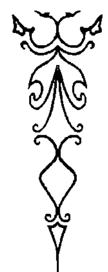
فأخذ يُصدر فتاواه، وينشر كتبه وبحوثه الفقهية المتجدّدة في أجواء التقليد و الركود والاجترار الذي خيّم على مراكز وبحوث الآخرين، خصوصاً بعد رحيل الفقهاء العمالقة كالإمام الشهيد الصدر و السيد الخوئي والإمام الخميني وأمثالهم من المراجع العظام.

في ظلّ هذا التحوّل التاريخي في مسيرة السيد فضل الله «المفكّر والعلاّمة» إلى ظاهرة فضل الله «المرجع والمقلَّد» برزت تحركات مشبوهة، وبدأت شبكات وأصابع خفية تتحرّك في الغرف المغلقة لمواجهة هذه المرجعية التي خالفت الكثير من المألوف لدى التقليديين وبدأت تكتسح مواقع كثيرة وساحات متعددة.

وقد أخذت هذه المواجهة الحادّة أشكالاً وصوراً مختلفة من خلال إصدار كتيباتٍ ركيكةٍ، ومنشوراتٍ ضعيفةٍ تحت أسماء

وهميَّةٍ ومزّورةٍ تشكك بعلميّة السيد فضل الله واجتهاده وعدم إحاطته بعلوم الشريعة.

وتركّزت الإشكالات حول مرجعية السيد فضل الله على بعض النقاط منها: أنّه لم يحصل على الاعتراف الرسمي بالاجتهاد أو الأعلمية من قبل الحوزة العلمية في قم أو النجف الأشرف.



وقد تمادت تلك المنشورات ومن يقف وراءها بأنّ آراء السيد فضل الله وأفكاره وعقائده تخالف ثوابت المذهب، غير أنّه كان يجيب بكلّ ثقة وشجاعة وإيجابية على تلك الإشكالات والتساؤلات المطروحة ذات القيمة الموضوعية.

وكان كثيراً ما يبتسم معرضاً عن الإشكالات الجاهلة والتي تكمن وراءها روح الحقد والحسد والتخلّف.

وطالما سمعناه يردّد هذين البيتين من الشعر:

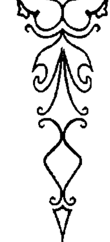
لـو كـنـتَ تـعـلـمُ مـا أقـولُ عـذرتـنـي
أو كـنـتُ أعـلـمُ مـا تـقـولُ عذلـتـكـا

لـكـنْ جـهـلـتَ مـقـالـتـي فـعـذلـتَـنـي
وعـلـمـتُ أنَّـكَ جـاهـلٌ فـعـذرتُـكـا

وهي إشارة حزينة تعبّر عن مدى شعوره بالغربة والحسرة من أولئك الذين لم يمنحوا أنفسهم فرصة التفهّم لمقولاته ومشاريعه، فهم يعيشون وسط أسواق الضجيج، والصخب الفكري والإعلامي.

ومع الأسف فقد توسّعت هذه السجالات وتعمقت، وأخذت تفرض نفسها على واقع المرحلة، وصُرف الكثير من الجهد والوقت، فكان الهدف منها حجب مرجعية السيد فضل الله عن التأثير والانتشار، فكانت المعركة معركة مفاصلة لا رجعة فيها ولا مصالحة.وظلّ الدعاة والعلماء العاملون منشغلين في هذه الدوامة فترة طويلة من الزمن.





إنّ هذه الأزمة المفتعلة التي أثارها أعداء السيد فضل الله فتحت بعض الثغرات لدخول الأصابع الخبيثة من أعداء الإسلام والمذهب، من خلال المفاصل الرخوة في الجسم الإسلامي الشيعي، حتى أصبحت الساحة عرضة للانتهاك والاختراق.



السيد فضل الله وإلى يمينه الشيخ الشهيد مهدي العطار

وهنا يأتي دور العلماء المخلصين والدعاة الواعين في مواجهة هذه الأزمة في حياة الأمة حيث إنّ بعض العلماء المثقفين كان



لهم دور كبير في تصحيح المفاهيم الخاطئة ومعالجة الإشكالات و القلق والإرباك الذي أحدثته هذه الأزمة وتداعياتها، إذ وقف الكثير منهم في خندق متقدّم إلى جنب مرجعية السيد فضل الله ودافعوا بجدٍّ وإخلاصٍ عن أفكاره ومواقفه، حتى إنّهم تعرّضوا لحملات تشويهية ظالمة، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر، سماحة آية الله الشيخ الشهيد مهدي العطار «طاب ثراه»، الذي عاش المحنة والمعاناة في معترك هذا الصراع إلّا أنّه كان على بصيرة من أمره ولم تأخذه في الله لومة لائم.

ومؤسسة دار الإسلام الثقافية الخيرية لم تقف على التلّ متفرّجة، إزاء هذه المواجهة، ولم تقف على الحياد اتجاه ظُلامة السيد فضل الله وهو يواجه مقولات التخلّف والأحقاد بصبر وحلم وحكمة، شأنه في ذلك شأن الرواد المصلحين الذين تعرّضوا عبر التاريخ لمثل هذه الهجمات الظالمة.

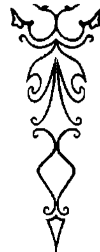
بل إنّ المؤسسة تحمّلت المسؤولية الشرعية والتاريخية وهي تغامر بموقعها وعلاقاتها مع المراكز والمؤسسات الدينية، وكانت تدرك أنها تخوض معركة ذات غُرم كبير بعين الله ورضاه وليس فيها أيُّ غنم ماديّ زائل، فانطلقت تواجه الأوراق الصفراء من خلال ما تصدره من الكتب والبيانات[1] وما يلقى من على منبرها من الخطب والمحاضرات دفاعاً عن السيد فضل الله،

---

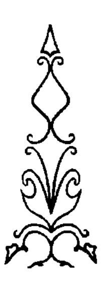
(١) تراجع بيانات مؤسسة دار الإسلام في الملاحق.

الرجل المبدأ، والموقف، والمرجعية، وليس عن السيد المزاج، والذات، والهوى.

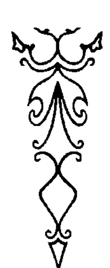
وما هذا الكتاب إلّا صفحة أخرى من الصفحات المشرقة لمواقف دار الإسلام في دفاعها عن حياة وجهاد وتراث سماحة سيّدنا الراحل المرجع الديني المجدِّد سماحة السيد محمد حسين فضل الله «طاب ثراه».



نسأل الله تعالى أن يتقبّل هذا الجهد المتواضع، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، إنّه ولي التوفيق، وهو حسبنا ونعم الوكيل.



الملاحق والوثائق



- شهادة السيد فضل الله على وقفية مؤسسة دار الإسلام.
- رأي السيد فضل الله في مهمّة الخطيب والمنبر الحسيني.
- بيان مؤسسة دار الإسلام حول الأزمة المفتعلة
- رسالة مؤسسة دار الإسلام الخيرية إلى الشيخ ميرزا جواد التبريزي.
- قصيدة «كالأساليب القديمة» للسيد فضل الله
- بعض بيانات النعي برحيل السيد فضل الله.
- المشهد الحزين..صور عن الرحيل والوداع الأخير





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه وسيد رسله محمد وآله الطيبين الطاهرين المعصومين واصحابه المنتجبين والتابعين لهم باحسان إلى يوم الدين.

وبعد فقد اطلعت على هذه الوقفية الشاملة لدار الاسلام المؤسسة الاسلامية الرائدة السائرة على خط الاسلام في نهج أئمة اهل البيت ع والمنفتحة على الدعوة الى الله والعمل في سبيله والانفتاح على قضايا الاسلام والمسلمين ورعاية شؤونهم ومتابعة مشاكلهم الفكرية والعملية وقد كانت حلماً في الماضي وقد تحقق الآن بفضل جهود العلامة الجليل الثقة المجاهد السيد حسين الموسوي الشامي حفظه الله والاخوة المؤمنين من معاونيه.

وقد تابعت نشاط هذه الدار في مختلف الجوانب الاسلامية المتصلة بامكاناتها ورأيتها شجرة طيبة تؤتي اكلها كل حين باذن ربها ولما كانت بحاجة الى المساعدة المادية والمعنوية الدائمة لاكمال مشاريعها وتلبية متطلباتها ومصارفها فانني ادعو اخواني المؤمنين للالتفاف حولها ودعمها بمختلف وسائل الدعم المادي والمعنوي فان ذلك من افضل القربات عند الله سبحانه وتعالى وانني اجيز دفع الحقوق الشرعية المنطبقة على مثل هذه المشاريع الاسلامية مثل سهم الامام (ع) والزكوات والنذورات المطلقة فان ذلك مبرئ للذمة ان شاء الله وهو من افضل مواردها والله ولي التوفيق

محمد حسين فضل الله

٨ صفر ١٤١٦ هـ

فضل الله محمد حسين



الملحق الأول

شهادة السيد فضل الله
على وقفيّة مؤسسة دار الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه وسيّد رسله محمد وآله الطيبين الطاهرين المعصومين وأصحابه المنتجبين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد..فقد اطلعتُ على هذه الوقفية الشاملة لدار الإسلام المؤسسة الإسلامية الرائدة السائرة على خط الإسلام في نهج أئمة أهل البيت عليهم السلام والمنفتحة على الدعوة إلى الله والعمل في سبيله والانفتاح على قضايا الإسلام والمسلمين ورعاية شؤونهم ومتابعة مشاكلهم الفكرية والعملية وقد كانت حلماً في الماضي وقد تحقق الآن بفضل جهود العلامة الجليل الثقة المجاهد السيد حسين الموسوي الشامي «حفظه الله» والأخوة المؤمنين من معاونيه.

وقد تابعت نشاط هذه الدار في مختلف الجوانب الإسلامية المتّصلة بإمكاناتها فرأيتها شجرة طيبة تؤتي أُكُلها كلّ حين بإذن ربّها ولمّا كانت بحاجة إلى المساعدة المادية والمعنوية الدائمة لإكمال مشاريعها وتلبية متطلباتها ومصاريفها فإنني أدعو إخواني المؤمنين للالتفاف حولها ودعمها بمختلف وسائل الدعم المادي والمعنوي فإنّ ذلك من أفضل القربات عند الله سبحانه وتعالى وإنني أجيز دفع الحقوق الشرعية المنطبقة على مثل هذه المشاريع الإسلامية مثل سهم الإمام عجّل الله فرجه والزكوات والنذورات المطلقة فإنّ ذلك مبرئ للذمة إن شاءَ الله وهو من أفضل مواردها والله ولي التوفيق.

ختم وتوقيع

السيد محمد حسين فضل الله

٨/صفر/١٤١٦



الملحق الثاني

رأي سماحة السيد فضل الله
في مهمّة الخطيب والمنبر الحسيني

بسم الله الرحمن الرحيم

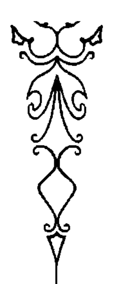
سماحة آية الله العظمى المجاهد السيد محمد حسين فضل الله دام ظلّه الوارف.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لاشكّ أنَّ المنبر الحسيني كان ولا يزال من نعم الله تعالى على عموم المسلمين وعلى أبناء الطائفة بوجهٍ خاص، به يهدي الله القلوب وتعطف الأنظار نحو نبيّ الرحمة محمد ﷺ وأهل بيته الطاهرين وبه نعرف فضلهم وحقوقهم ومظلوميتهم عبر التاريخ وقد وفّق الله لذلك رجالاً سجّل التاريخ أسماءهم في الخالدين حفظوا للمنبر قدسيّته وكرامته وأدّوا وظيفتهم خير أداءٍ، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير جزاء.

وممّا يؤسف له مؤخراً استغلال المنبر لأغراض شخصية

وجعله ظرفاً لإثارة الفتنة والبغضاء بين أبناء الطائفة والانتقاص من أعلام الأمة والتعرّض للمؤمنين وتحريك بعضهم ضد البعض الأخر بدوافع العصبية أو الهوى مما ينحرف بالمنبر الشريف عن مهمته السامية ويقدّم لأعداء الأمة والمتربصين بالطائفة خدمات مجانية تلحق بالمؤمنين الضرر والأذى.



وبهذا الصعيد ومما يؤسف له أن يتحدّث الخطيب الشيخ فاضل المالكي في الخامس من شهر محرم هذه السنة ١٤١٧هـ، في مجلس عام بالكويت يحضره مختلف الناس ومن على المنبر الشريف بحديث مؤلم هاجم فيه بعض العلماء العاملين وبعض المؤسسات الشيعية المعروفة بخدمتها للطائفة والعاملة برعاية المراجع العظام وتأييدهم وأثار في حديثه الفتنة والتفرقة بين الأمّة محرّكاً ضغائن وأحقاداً عصبية، كما تحدّث عن قضايا تغري سلطات البلدان المختلفة بالمؤمنين بطرح ادعاءات مفتعلة تحرّك فيهم روح التوثب والخطر بالعاملين، وغير ذلك مما استوجب سخط عموم المؤمنين والمهم في هذا التوجه المنافي لحرمة المنبر ومما يؤسف له أنّ هذه الأوضاع الشاذّة تكرّرت منه ببلاد مختلفة كالإمارات وقطر وتسبّب في طرده منها، إضافة إلى أوضاع مهينة في عُمان أساءت إلى سمعة عموم اللابسين لزيّ طلّاب العلم الكرام.

ونحن إذ يؤسفنا إزعاج أسماعكم الشريفة بمثل هذه القضايا



نأمل منكم أن تتفضّلوا بتوجيه الساحة لِمَا ترونه يصلح الأمّة ويدفعها نحو المعروف وينهاها عن المنكر- أعاذنا الله منه - ومن أجل حصر مثل هذه الظواهر المؤسفة وعدم تفشّيها في الأمة.

وننتظر من مقامكم الشريف إبداء رأيكم الشرعي بشأن حفظ حرمة العلماء وحرمة المؤمنين ونفوسهم، فهل يجوز لا سمح الله إعانة الظالمين وتحريضهم على المؤمنين وإثارة الفُرقة والفتنة بين صفوفهم والتشهير بهم على المنابر.

ونحن بانتظار توجيهاتكم الكريمة وآرائكم المباركة، نسأله تعالى أن يديم وجودكم ويحفظكم علماً للدين وملاذاً للمؤمنين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

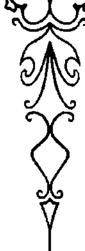
كاظم عبد الحسين

١١ محرم- ١٤١٧هـ

١٩٩٦/٥/٢٩م



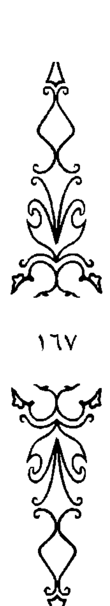




بسمه تعالى

لا يجوز هتك حرمة العلماء الأعلام المجاهدين في سبيل حفظ الإسلام في عقيدته وشريعته وحركته في الواقع الإنساني العام.كما لا يجوز التعرّض للمؤمنين العاملين في سبيل الله والإساءة إلى كرامتهم وتعريضهم للأخطار لدى الظالمين كما يحرم إثارة الفتنة بين صفوف المجتمع الإسلامي والتشهير بالمؤمنين لا سيما إذا كان ذلك باستغلال المنبر الحسيني الذي أعدّه أئمة أهل البيت عليهم السلام للوحدة بين المسلمين ولإحياء أمر الإسلام في خط أهل البيت عليهم السلام ولإطلاق الذكرى في مدى الزمن من أجل إعلاء كلمة الله وإعزاز المجاهدين من العلماء والمؤمنين في الخط الإسلامي الحسيني، وعلى ضوء ذلك فلا يجوز - ومن الناحية الشرعية - للمؤمنين إفساح المجال في الاستفادة من المنبر الحسيني لأيّ شخص يمارس هذا الأسلوب كما لا يجوز تأييده.

التوقيع / محمد حسين فضل الله



الملحق الثالث

بيان مؤسسة دار الإسلام
حول الأزمة المفتعلة ضدّ السيد فضل الله

بسمه تعالى:

وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً
وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ

[الأنفال : ٢٥]

يا أبناء أُمّتنا الإسلامية المجيدة

أيّها المؤمنون المهاجرون في بلاد الغرب

يتعرّض كيان المرجعية الدينية إلى مؤامرة خطيرة تستهدف تشويه سمعة مراجعنا العظام، والإساءة إلى مكانتهم في نفوس أبناء الأُمة المرتبطين بهذا الخط المبارك.فلقد شهدت الأيام القليلة الماضية توزيع أوراق ومنشورات تفوح منها رائحة الكذب والافتراء والنفاق، وتكشف عن خيوط مخطّط خبيث يستهدف

إشغال الأمة الإسلامية، التي تخوض جهادها ضد أعداء الدين بمعارك جانبية بالنيل من أبرز رموز المرجعية الدينية الواعية سماحة آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله دام ظلّه الوارف. وإثارة الفتنة بين أبناء مدرسة أهل البيت عليهم السلام وتصويرهم وكأنّهم خطوط متصارعة يكفّر بعضها البعض الآخر، والأخطر من ذلك هو الزجّ بأسماء مراجع الدين وعلماء المسلمين في هذه الفتنة والذي هو مسلسل خبيث لا يستثني أحداً من المراجع العظام والعلماء المتصدّين في الساحة الإسلامية.

...إنّنا إذ نستنكر هذه الحملة الحاقدة والمنشورات المشبوهة، نحذّر إخواننا المؤمنين وعلماء الدين المجاهدين وأبناء الأمة وخاصة الجاليات الإسلامية في المهجر من الوقوع في شراك هذه المؤامرة الخطيرة.

وفي نفس الوقت نناشد مراجعنا العظام وممثلياتهم في العالم بتحمّل مسؤوليتهم الشرعية باستنكار ونفي ما نُسب اليهم زوراً في تلك المنشورات الصفراء.والتي جاء فيها ما يسيء إلى أحد مراجع الدين المجاهدين والإساءة إلى سمعة النجف الأشرف العلمية وهي تعاني من محنتها التاريخية في هذا الحصار الظالم والانقطاع عن المؤمنين في الخارج.ونطالب العلماء الأعلام والشخصيات الإسلامية الواعية وأبناء الأمة بالتصدي

لهذا المخطط الخبيث، وإطفاء نار الفتنة التي يحاول مروّجو تلك المنشورات إشعالها في أوساط الأمة.

وإنّنا لعلى ثقة تامّة من أنّ وعي أبناء أمّتنا الإسلامية وتمسّكهم بالمرجعية الدينية الرائدة لكفيلان في إفشال أيّ مخطط خبيث مهما كانت الجهة التي تقف خلفه، وأنّ أمثال هذه الأساليب الدنيئة لأعجز من أن تضعف العلاقة الفكرية والروحية التي تربط بين المؤمنين وعلمائهم الربانيين.

..إنّنا في الوقت الذي نحيّي فيه مواقف آية الله العظمى السيد فضل الله الشجاعة في خدمة الإسلام والدفاع عن فكر أهل البيت عليهم السلام ومدرستهم الأصيلة، وترفّعه عن الردّ على تلك الأوراق المشبوهة نؤكّد بأنّ أبناء الأمة الواعين لهذا المخطط، والمدركين لأبعاده الشريرة، يشدّون على يده ويعاهدونه على أنّهم جنود أوفياء للإسلام وقيادته الحكيمة، وأنّهم ماضون قدماً في التصدّي لكل العابثين بمقدسات المسلمين، والساعين إلى تفريق كلمتهم، واستعدادهم للدفاع عن المرجعية المجاهدة التي كانت دوماً هدفاً لسهام أعداء الإسلام ومؤامراتهم الحاقدة.

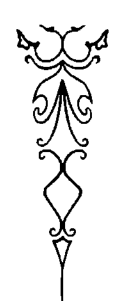
العزّة والنصرة للإسلام والمسلمين والخزي والخسران لأعداء الإسلام، أعداء المرجعية.

﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

[آل عمران : ١٣٩]

الأمين العام

الملحق الرابع



رسالة مؤسسة دار الإسلام الخيرية إلى الشيخ ميرزا جواد التبريزي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده وصلى الله على محمد خير خلقه وعلى آله الطيبين الطاهرين.

سماحة آية الله الشيخ ميرزا جواد التبريزي دام ظلّه، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد: نبتهل إلى الله سبحانه وتعالى أن يمنّ عليكم بدوام الصحة والعافية وأنْ يديم بقاءكم الشريف لخدمة الحوزة العلمية، ونشر علوم أهل البيت عليهم السلام ونصرة الإسلام والمسلمين.

شيخنا الكبير..تلقّى المؤمنون في بلاد الغرب وفي بلدان أخرى بياناتكم الأخيرة ضد سماحة آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله حفظه الله، وقد أثار ذلك استغرابهم وقلقهم، على أساس أنّ ما تحدثتم به عن سماحة السيد فضل

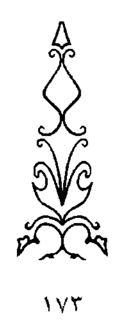
الله يدلّ على عدم سماعكم وقراءتكم لحقيقة آرائه وأفكاره في خصوص أهل بيت العصمة عليهم السلام فسماحته خدم الطائفة منذ أكثر من نصف قرن مضى وقدّم للعالم الإسلامي فكر أهل البيت عليهم السلام ودافع عن ظلامتهم ومدرستهم وتصدّى لكلّ المحاولات التي أرادت النيل منهم، وتشهد على ذلك مؤلفاته القيّمة الكثيرة ومحاضراته التثقيفية ودروسه العلمية ومقابلاته الصحفية، كما أنّ سماحته مارس دوره المشكور على أحسن وجه في تعريف العالم بالشيعة والتشيّع وانتصر لهم في المحافل والندوات العالمية ودافع عن الحوزات العلمية وتصدّى لمحاولات النيل منها، وقارع أهل الضلال من أعداء الإسلام وأحبط حملاتهم التشهيرية ضد الإسلام ومدرسة أهل النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة، حتى تعرّض سماحته لأكثر من محاولة اغتيال من قبل الاستكبار وأعداء أهل البيت وما يزال يقف بوجه الاعداء بكلّ قوة وصلابة، وهذا أمر معلوم للجميع ولا نظنّه خَافياً على شخصكم الكريم.

إنّ سماحة السيد فضل الله علم من أعلام الطائفة ورمز من رموز الإسلام، له أُمّة من المؤيّدين والمقلّدين المنتشرين في بلاد الغرب ومناطق مختلفة من العالم الإسلامي، وهم على دراسة تامة بعقائده وآرائه، وعلى معرفة أكيدة بخدماته وجهوده، لذلك فإنّ التعرض له بتهم هو بريء منها يسيء إلى مشاعر المؤمنين من جهة، ويخدم أعداء المذهب والإسلام من جهة أخرى عندما

يجدون أن أعلام الشيعة يهاجم بعضهم البعض ويتّهم أحدهم الآخر وهو توهين لموقع المرجعية العامة وإضعاف في نفوس المؤمنين، وهذا ما يريده أعداء أهل البيت عليهم السلام ويبذلون من أجله الأموال ويستخدمون الرجال.

شيخنا المعظّم...إنّ مقامكم العلميّ وموقعكم في الحوزة العلمية يستدعيان أن تكون آراؤكم وأحكامكم بحقٍّ الأشخاص والموضوعات صادرة عن تثبّت وتدقيق كامل، الأمر الذي جعل المؤمنين في بلاد الغرب يستغربون مواقفكم من سماحة السيد فضل الله على اعتبار أنّ ما تصفونه به من صفات يتعارض مع حقيقة أفكاره وكتاباته المدونة منذ عشرات السنين، وهذا ما دفع جموع المؤمنين إلى القول إنّ سماحتكم وقعتم تحت تأثير البعض ممن لا يتورّع عن التشكيك والاتهام او أنّه غير ثَبْتٍ في فهم مداليل الكلام، بل إنّ كلاماً راح يُقال هنا وهناك يسيء بمجموعه إلى مقامكم العلميّ الرفيع على أساس أنّ قضايا الفكر والتاريخ والعقيدة لا تُطرح بهذه الصورة التشهيرية وعلى عامة الناس، وأنّ منهج العلماء هو المحاججة العلمية القائمة على قواعد التثبّت والأخذ والردِّ بالدليل والحجّة، كما هو منهج الحوزات العلمية في قم المقدسة.

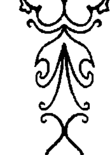
إنّ المؤمنين يتساءلون ما هي حقيقة القضية؟ وهل أنّ موضوعها حقيقةً يختصّ بضرورات وثوابت المذهب وما هي هذه



الضرورات والثوابت؟ أم أنّها شأنٌ تاريخي اختلف عليه علماء الطائفة منذ القدم كما اختلفوا على الكثير من القضايا التاريخية والفكرية والفقهية وغير ذلك، وكانوا أعلى الله مقامهم على طول التاريخ يتحاورون ويردّ بعضهم البعض بالدليل والحجّة، لا بطريقة التشهير والنيل والاتهام، وإنما بلغة الحوار العلمي الذي تفتخر بها حوزتنا على غيرها.

سماحة شيخنا المعظّم...إنّ المؤمنين درسوا بدقة آراء وأفكار سماحة اية الله السيد فضل الله، وهم يرون أنّ ما تتّهمونه به لا ينطبق عليه بأيّ حال من الأحوال لأنّ أفكاره مدوّنة ومسجّلة وهي واضحة المداليل والمعاني في كونها تحكي عقائد مدرسة أهل البيت عليهم السلام ولم يعد الشيعة اليوم عواماً متخلّفين بل بفضل بركات الصحوة الإسلامية وجهود العلماء العاملين وصلوا إلى درجات عالية من الوعي والفهم والإدراك بحقائق الأمور، وقد رجع المؤمنون بالسؤال والاستفسار في هذا الخصوص إلى طائفة من أعلام الطائفة، فنزّهوا سماحة السيد فضل الله عما يُنسب إليه واعتبروا ذلك فتنة يُراد لها شقّ الصف وتوهين أعلام الشيعة الذين يتصدون لأعداء الإسلام بكلّ قوة وثبات وصبر، كما يدّل ذلك دلالة واضحة على هشاشة موقع المرجعية واهتزاز الفكر من خلال تفشّي الحسد والحقد والجهل بروّاد الإصلاح ورجال التغيير في مرحلتنا الراهنة الصعبة.





شيخنا الكبير..إنّ هناك من أساء إلى المذهب حقيقة ونشر كتاباته الضّالة التي أنكر فيها ضرورات المذهب الأصيلة، ولكن للأسف لم يتصدّ له العلماء الأعلام..وهناك الكثير ممن يمارسون التشكيك في التشيّع بمختلف الصور والأساليب دون أن يظهر من رموز الحوزة العلمية من يردّ عليهم، وهذه هي المسؤولية التي ننتظرها من سماحتكم لِمَا نعهده في شخصكم المبارك من حرص على خط أهل البيت عليهم السلام.

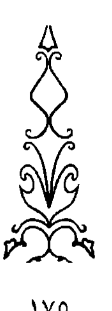
كما أنّ المؤمنين يتطلّعون إلى مقامكم الشريف من أجل قتل الفتن وإحباط المحاولات الضّالة التي تهدف إلى تمزيق الصف، وبثّ الخلاف بين رموز الحوزات العلمية، فسماحتكم تضطلعون بمسؤولية تاريخية شرعية في هذا المجال، كما هو الحال في كلّ أعلامنا أدام الله تعالى وجودهم وحفظهم من كلّ مكروه ذخراً لمدرسة أهل بيت النبوة سلام الله عليهم أجمعين.

وفي الختام نبتهل إلى العلي القدير أن يسدّد خطانا جميعاً، وأنْ يبقيكم وسائر الأعلام عوناً وناصراً للإسلام، إنّه وليّ التوفيق ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم.

مؤسسة دار الإسلام الخيرية

٢٩ جمادي الأولى ١٤٤٨هـ

١/١٠/١٩٩٧ «لندن»



الملحق الخامس

القصيدة التي نشرت في مجلة الأضواء النجفية في مطلع الستينيات.

وكانت تجربة شعرية رائدة للسيد فضل الله في تلك المرحلة.

كالأساليب القديمة

كَالأَساليبِ القَديمَه

كَحِكَاياتِ أَبي جَهْلِ اللئيمَهْ

عِنْدَمَا لوَّنَت الدَّعْوَةُ أَجْفَانَ الحَيَاهْ

بِالشُّعَاعِ الوَادِعِ السَّمْحِ

بِأَلْطَافِ الإِلَهْ

عِنْدَما سَارَتْ خُطَى الإِسلامِ

في أَوَّلِ دَرْبِ

وَحَنَتْ تَحْتَضِنُ الإنسانَ

في رِفْقٍ وحُبٍّ

وَرَسُولُ اللهِ يَدعو القَوْمَ

في أَطْيَبِ قَلْبِ
وإذا بالصَّوتِ مَحْمُومُ الصَّدَى، بالإثْمِ
سَاخِرْ
إنَّها دَعْوَةُ مَجْنُونٍ
وَسَاحِرْ
هُوَ شَاعِر

* * *

وتَخَطَّتْ دَعْوَةُ الإسْلام أَسْوَارَ الضَّلالِ
في انْطِلاقٍ يتَحَدَّى بالسَّنَا
زّهْوَ الليالي
وَتَوارى في ظَلام التِّيهِ
أبْطَالُ الجَرِيمَةْ

* * *

ثمَّ عُدْنا وابْتَدَأنا
دَرْبَنَا
عَبْرَ الرِّسَالاتِ العَظيمهْ
وَخَطَوْنَا نَحْوَهَا أَوَّلَ خُطْوَهْ
وَأَثَرْنا الوَعْيَ في عَزْمٍ وَقُوَّهْ
فَالتقينا بالأساليبِ القَديمَهْ
بِحكَاياتِ أبي جَهْلِ اللئيمهْ

بتَعَابيرَ جَديدَهْ
وَضَلالات عَنيدَهْ
إنَّها دَعْوَةُ رَجعيٍّ مُكَابرْ
إنَّهُ الأَفيون قد جاءَ لتَخْديرِ الضَّمائرْ

* * *

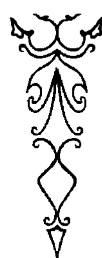
غَيْرَ أَنَّا سَوْفَ ندعو للأَساليبِ الكَريمَهْ
وَستَنْدَكُّ مَعَ الفَجْرِ
الأَساليبُ القَديمَهْ

* * *



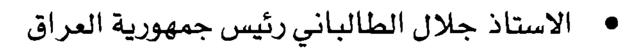
الملحق السادس

بعض بيانات النعي ورسائل التعزية بمناسبة رحيل المرجع الديني السيد محمد حسين فضل الله «طاب ثراه»



- مكتب آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله
- مؤسسة دار الإسلام الخيرية
- آية الله السيد علي الخامنئي
- السيد حسن نصر الله
- آية الله الشيخ مكارم الشيرازي
- آية الله الشيخ يوسف صانعي
- الشيخ محمد مهدي الآصفي
- آية الله الشيخ محمد اليعقوبي
- العلامة الشيخ عبد الهادي الفضلي
- مكتب السيد ساجد نقوي - باكستان
- منظمة المؤتمر الإسلامي
- الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين
- إتحاد علماء المسلمين في العراق
- مكتب حزب الدعوة الإسلامية
- المقاومة الإسلامية - حماس





- الاستاذ جلال الطالباني رئيس جمهورية العراق
- الأستاذ نوري المالكي رئيس وزراء العراق
- الشخ نواف الأحمد الجابر الصباح ولي عهد الكويت
- الشيخ ناصر الأحمد الصباح رئيس مجلس وزراء الكويت
- الشيخ حمد آل ثاني أمير دولة قطر

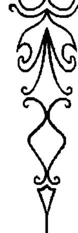


- عبد الله الثاني – ملك الاردن
- الأمير حسن بن طلال – الاردن
- عمر حسن البشير رئيس السودان
- حمد بن عيسى آل خليفة – ملك البحرين
- قابوس بن سعيد – سلطان عُمان
- إتحاد الطلبة الإندونيسيين



بيان مكتب المرجع الديني آية اللّه العظمى السيد محمد حسين فضل اللّه «رحمه اللّه»





بسم اللّه الرحمن الرحيم

«إنّا للّه وإنّا إليه راجعون»

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة : ٢٠٧]

«إذا مات العالِم ثُلِم في الإسلام ثلمةٌ لا يسدّها شيء»

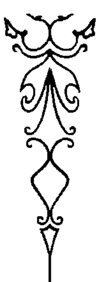
في زمن أحوجَ ما نكونُ فيه إليه..رحلَ هذا الكبيرُ زارعاً في قلوب المحبّين أحزاناً جمعت كلَّ أحزانِ التاريخ...رحلَ الأبُ القائدُ الفقيهُ المرجعُ المجدِّدُ المرشد والإنسان...رحلَ والصلاةُ بين شفتيْه وذِكْرُ اللّه على لسانه وهمومُ الأمة في قلبه..

وأخيراً توقّف نَبْضُ هذا القلب على خمسةٍ وسبعين من الأعوام...قَضَاها جهاداً واجتهاداً وتجديداً وانفتاحاً والتزاماً بقضايا الأمة ومواجهةً لكلّ قوى الاستكبار والطغيان..

رحل السيّدُ وهمُّه الكبير، هو الإسلامُ فكراً وحركةً ومنهجاً والتزاماً في جميع مجالات الحياة مردّداً على الدوام: هذه هي كلُّ أُمنياتي، وليس عندي أُمنياتٌ شخصيّةٌ أو ذاتيّة، ولكنَّ أمنيتي الوحيدة التي عشتُ لها وعملتُ لأجلها هي أن أكونَ خادماً للّه

ولرسوله ﷺ ولأهل بيته عليهم السلام وللإسلام والمسلمين...

لقد كانت وصيّتُه الأساس حِفْظَ الإسلام وحِفْظَ الأمّة ووحدتَها، فآمن بأنّ الاستكبار لن تنكسر شوكتُه إلاّ بوحدة المسلمين وتكاتفهم.



وبعقله النيّر وروحه المشرقة كان أباً ومَرجعاً ومرشداً وناصحاً لكلّ الحركات الإسلامية الواعية في العالم العربي والإسلامي التي استهْدت في حركتها خطَّه وفكرَه ومنهجَ عمله...

وانطلاقاً من أصالته الإسلامية شكَّل مدرسةً في الحوار مع الآخر على قاعدة أنّ الحقيقةَ بنتُ الحوار فانْفتَحَ على الإنسان كلّه، وجسّد الحوارَ بحركتِه وسيرته وفكره بعيداً عن الشعارات الخالية من أيّ مضمونٍ واقعيّ.

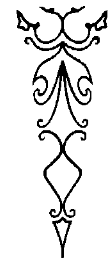
ولأنّه عاشَ الإسلامَ وعياً في خطّ المسؤولية وحركةً في خطّ العدل، كان العقلَ الذي أطلق المقاومةَ، فاستمدّت من فكرِه روحَ المواجهة والتصدّي والممانعة وسارت في خطّ الإنجازات والانتصارات الكبرى في لبنان وفلسطين وكلّ بلدٍ فيه للجهاد موقع..

على الدوام، كانت قضايا العرب والمسلمين الكبرى من أولويات اهتماماته..وشكّلتْ فلسطينُ الهمَّ الأكبرَ لحركتِه منذ رَيعان شبابِه وحتى الرمقِ الأخيرِ قائلاً: «لن أرتاح إلاّ عندما يَسقط الكِيانُ الصهيوني».

لقد شكّل السيّد علامةً فارقةً في حركة المرجعيّة الدينية



التي التصقتْ بجمهور الأمة في آلامها وآمالها..ورسمتْ لهذا الجمهور خطَّ الوعي في مواجهة التخلّف، وحملت معه مسؤولية بناء المستقبل...وتصدّت للغلو والخرافةِ والتكفير مستهديةً سيرةَ رسولِ اللهِ ﷺ وأهل بيتِه الأطهار عليهم السلام.



لقد وقف السيّد بكلِّ ورعٍ وتقوى في مواجهةِ الفتن بين المسلمين رافضاً أن يتآكل وجودُهم بِفِعل العصبياتِ المذْهبية الضيّقة، طالباً من علماء الأمّة الواعين من أفرادها أن يتّقوا الله في دماء الناس، معتبراً أنّ كلَّ مَنْ يُثيرُ فتنةً بين المسلمين ليمزِّق وحدتَهم ويفرِّق كلمتَهم هو خائنٌ لله ولرسوله وإنْ صامَ وصلّى..

حرص على الدوام أن تكون العلاقات بين المسلمين والمسيحيين في لبنان والعالم قائمةً على الكلمةِ السواء والتفاهم حول القضايا المشتركة، وتطويرِ العلاقاتِ بينهم انطلاقاً من المفاهيم الأخلاقية والإنسانية التي تساهم في رَفْع مستوى الإنسان على الصُّعُد كافّة، وارتكازاً إلى قيمة العدل في مواجهة الظلم كلّه.

وأمّا منهجيتُه الحركيّةُ والرساليّةُ وحركتُه الفقهيّة والعقائديّة، فإنّه انطلق فيها من القرآن الكريم كأساس...وقد فَهِمَ القرآنَ الكريم على أنّه كتابُ الحياة الذي لا يَفهمُه إلاّ الحركيون..

امتاز بتواضعه وإنسانيّته وخُلُقه الرساليّ الرفيع وقد اتّسع قلبُه للمحبّين وغير المحبّين مخاطباً الجميع: «أحبّوا بعضَكُم بعضاً، إنّ المحبّة هي التي تُبدع وتُؤصّل وتنتج...تَعالَوْا إلى المحبّة



بعيداً عن الشخصانية والمناطقية والحزبية والطائفية...تعالوا كي نلتقي على الله بدلاً من أن نختلف باسم الله...وهو بهذا أفرغ قلبَه من كلّ حقد وغِلٍّ على أيّ من الناس، مردّداً أنّ الحياةَ لا تتحمّلُ الحقدَ فالحقدُ موتٌ والمحبّةُ حياة...

ولقناعته بالعمل المؤسّسي آمن بأنّ وجود المؤسّسات هو المدماك الحضاريّ الأساسيّ لنهضة كلِّ أمّة ومجتمع..أقام صروحاً ومنارات للعلم والرّعاية، فكانت مَلاذاً لليتيم وللمحتاج ووجد فيها المعوّقُ داراً للطموحات والآمال الكبار، ووجد المتعلّم فيها طريقاً نحو الآفاق المفتوحة على المدى الأوسع، وهكذا المريض والمسنّ وَجَدا فيها أيضاً واحةً للأمان والصحة..

لقد كانت دارُكَ أيّها السيّدُ السيّدُ وستبقى مقصداً لكلِّ روّاد الفكر وطالبي الحاجات، فلطالما لهج لسانُك بحبّ الناس. كان الفقراء والمستضعفون الأقربَ إلى قلبك، ولقد وجدتَ في الشباب أَمَلاً واعداً إذا ما تحصّنوا بسلاحِ الثقافة والفكر..

لقد سَكَنَ هذا القلبُ الذي ملأ الدنيا إسلاماً حركياً ووعياً رسالياً وإنسانية فاضت حبّاً وخيراً حتى النَّفَس الأخير...

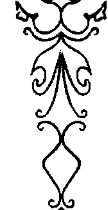
يا سيّدَنا، لقد ارتاحَ هذا الجسدُ وهو يتطلَّعُ إلى تحقيقِ الكثيرِ من الآمال والطموحاتِ على مستوى بناءِ حاضرِ الأمةِ ومستقبلِها..

رحلتَ عنّا، وقد تكسّرت عند قدميْك كلُّ المؤامرات والتهديدات



وحملاتِ التشويهِ ومحاولاتِ الاغتيال الماديّ والمعنوي، وبقيت صافيَ العقل والقلب والروح صفاء عين الشمس...

يا أبا علي، رحلت وسيبقى اسمُك محفوراً في وجدان الأمة، وستبقى حاضراً في فكرك ونهجِك في حياة أجيالنا حاضراً ومستقبلاً..



رحل السيّدُ الجسد، وسيبقى السيّدُ الروح والفِكْر والخطّ... وستُكمل الأمّة التي أحبّها وأتعبَ نفسه لأجلها، مسيرة الوعي التي خطّها مشروعاً بِعَرَقِ سنيّ حياته...

أيها الأخوة..إنّنا إذ نعزّي الأمّة كلَّها برحيل هذا العلم المرجعيّ الكبير، وهذه القامةِ العلمية والفكرية والرسالية الرّائدة، نعاهدُ الله، ونعاهدُك يا سماحة السيّد، أن نستكمل مَسيرةَ الوَعْي والتجديد التي أَرْسَيْتَ أصولَها وقواعدَها، وأن نحفظ وصيّتك الغالية في العمل على حِياطةِ الإسلام، ووحدةِ الأمة، وإنسانيّة الرّسالة.

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ*ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً*فَادْخُلِي فِي عِبَادِي*وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾

[الفجر: ٢٧-٢٨-٢٩-٣٠]

مكتب سماحة آية الله العظمى
السيد محمد حسين فضل الله
التاريخ: ٢٢ رجب ١٤٣١ هـ
الموافق: ٠٤/٠٧/٢٠١٠ م



بيان نعي مؤسسة دار الإسلام

﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾

[القصص : ٨٣]

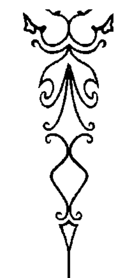
إنا لله وإنا إليه راجعون

بقلوب ملؤها الحزن والأسى، ويعتصرها الألم، نعزّي العالم الإسلامي والشعبين الكريمين اللبناني والعراقي، والأسرة العلوية الشريفة لآل فضل الله، برحيل المرجع الديني الكبير سماحة آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله الذي توقّف قلبه المفعم بالإيمان بعد جهاد دام ستة عقود من الزمن المثقل بالهموم والمتاعب، وسكنت روحه الطاهرة لِتَحِلَّ في الملأ الأعلى خاشعةً مطمئنّةً واثقةً بما قدّمته من جليل الأعمال وكنوز العلوم والأسفار وما تركته من مشاريع المبرّات والخيرات والمؤسسات الإنسانية.

إنّ السيد فضل الله كان مدرسةً حركيةً رحبة الآفاق واسعة الأبعاد كثيرة العطاءات، فقد اتّصف رحمه الله بخصائص وسمات قلّما تجتمع في أحد من الفقهاء أو العلماء المصلحين والمجددين.



فهـو الأديـب المرهـف الحسـ، والمفكـر الثاقـب البصـر والبصيرة، والمنظّر الحركي لمختلف فصائل الحركة الإسلامية على امتداد مواقعها وساحاتها.

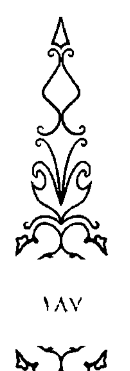


وهو الفقيه المجدّد الذي استوعب مناهج المتقدّمين، وأحاط بأفكارهم ونظرياتهم، في مجالات الفقه والأصول، والحديث والدراية والرجال، ومناهج البحث والاجتهاد، وأخذ من كلّ ذلك وأضاف إليه من فكره وعقله وإبداعاته، مما جعله يقف راسخ القدمين إلى صفّ أولئك الفقهاء الأفذاذ والعلماء اللامعين الذين قدّموا للأمة عبر الزمن ما تحتاجه من أحكام ورؤى ومواقف في حياتها الخاصة والعامة.

وهو المفسّر «الموسوعي» الذي عاش مع القرآن سنيَّ عمره بكلّ مشاعره، مدرِّساً، ومفسّراً، ومتدبّراً، في علومه وآياته، فترك «من وحي القرآن» سِفْراً جليلاً خالداً يرجع إليه طلاب العلم والباحثون عن الحقيقة.

وهو العالِم العامل الذي أسّس وأنشأ العديد من المبرّات والمشاريع الخيرية، والمؤسسات التعليمية والتربوية والصحية، التي أصبحت اليوم علامة من علامات عطائه الدائم، وصدقاته الجارية التي تشير إلى بقائه خالداً في ذاكرة الأجيال.

وهو المصلح المجاهد الذي وقف بكلّ جرأة وشجاعة وإصرار بوجه طفيليات الباطل، ومقولات الجهل والتخلّف، ومحاربة



البدع والعادات الطارئة التي تسيء إلى الإسلام وتخدش نصاعة المذهب الحق.

وهو رجل الحوار ورائد الوحدة والتقريب بين المذاهب والأديان، مستنداً في ذلك إلى أصالة الأمة الواحدة التي صنعها الإسلام أمة واحدة على اختلاف قومياتها ولغاتها وألوانها وتقاليدها الثقافية والاجتماعية.

لقد كان السيد فضل الله أُمّة انطوت في رجل ومشروعاً واسع الأبعاد للإصلاح والتجديد، ولا شك أنّ رحيله المفجع قد ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدّها شيء.

أجل لقد رحل فضل الله نقيَّ الثوب وضّاح الجبين في زمن أحوج ما نكون إليه، ولكنَّ فكره ومنهجه ومشاريعه الإصلاحية وكلماته الهادية ومواقفه السَنيّة سوف تبقى حاضرة في مسيرتنا، نستعيده فيها ونتذكّره من خلالها أبّاً ومعلّماً ومرجعاً قائداً وفقيهاً مصلحاً ومجدِّداً.

رحم الله سماحة السيد فضل الله في الخالدين وتغمّده الرحمن بواسع لطفه ورحمته وأسكنه فسيح جنّاته إلى جوار أجداده الطاهرين.إنّه سميع مجيب.

حسين بركة الشامي

الأمين العام لمؤسسة دار الإسلام

٢٤/رجب ١٤٣١ هـ - ٦/٧/٢٠١٠

بغداد





بيان مرشد الجمهورية الإسلامية

السيد علي الخامنئي

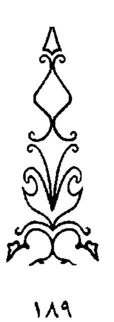
أتقدّم بالعزاء إلى عائلة فضل الله الكريمة وإلى جميع مريدي ومحبي المرحوم في لبنان والجاليات اللبنانية في أفريقيا وأميركا اللاتينية ومن كافة الشيعة في لبنان برحيل العالم المجاهد أية الله الحاج السيد محمد حسين فضل الله رحمة الله عليه.

لقد قدّم هذا العالم الكبير والمجاهد الكثير في الساحات الدينية والسياسية و كان له الأثر الكبير على الساحة اللبنانية والتي لن تنسى خدماته وبركاته الكثيرة على مرّ السنين.

إنّ المقاومة الإسلامية في لبنان والتي لها حقّ كبير على الأمة الإسلامية كانت على الدوام تحت رعاية ودعم ومساعدة هذا العالم المجاهد.لقد كان الراحل الرفيق المخلص والمقرّب من الجمهورية الإسلامية ونظامها وكان وفياً لنهج الثورة الإسلامية وأثبت ذلك قولاً وعملاً على مدار الثلاثين سنة من عمر الجمهورية الإسلامية.

وأسال الله تعالى أن يُنزل الرحمة والمغفرة على روح هذا السيد الشريف والعزيز وأن يحشره مع أجداده الطاهرين.

السيد علي الحسيني الخامنئي



بيان السيد حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله

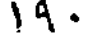
بسم الله الرحمن الرحيم

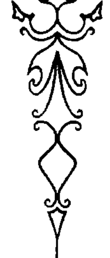
إنَّا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلّا بالله العليِّ العظيم..لقد فقدنا اليوم أباً رحيماً ومرشداً حكيماً وكهفاً حصيناً وسنداً قوياً في كلّ المراحل.هكذا كان لنا سماحته ولكلّ هذا الجيل المؤمن والمجاهد والمقاوم منذ أن كُنّا فتيةً نصلي في جماعته ونتعلّم تحت منبره ونهتدي بكلماته ونتمثّل أخلاقه ونقتدي بسيرته.

علّمنا في مدرسته أن نكون دُعاةً بالحكمة والموعظة الحسنة وأن نكون أهل الحوار مع الآخر، وأن نكون الرافضين للظلم والمقاومين للاحتلال وعشاق لقاءٍ مع الله تعالى من موقع اليقين، وأن نكون أهل الصبر والثبات والعزم مهما أحاطت بنا الشدائد والمصاعب والفتن.فكان لنا الأستاذ والمُعلِّم والعلم والنور الذي نستضيء به في كلّ محنة واليوم نفتقده إذ يفارقنا إلى جوار ربّه الكريم الذي جاهد في سبيله طيلة عمره الشريف إلّا أنّ روحه الزكية وفكره النيّر وكلمته الطيّبة وابتسامته العطوفة وسيرته العطرة ومواقفه الصلبة، كلّ ذلك سيبقى فينا هادياً ودليلاً ودافعاً قوياً متجدّداً للعمل الدؤوب والجهاد المتواصل.



إنّني أتقدم باسم المجاهدين والمقاومين وعوائل الشهداء والجرحى والمحرّرين وكلّ جمهور المقاومة إلى إمامنا صاحب الزمان عليه السلام وإلى مراجعنا العظام وفي مقدمتهم سماحة الإمام الخامنئي دام ظله وإلى جميع المسلمين عموماً واللبنانيين خصوصاً وبالأخص إلى أُسرته أُسرة العلم والفضل والجهاد والشرف بأحرّ التعازي وأصدق مشاعر المواساة في هذا المصاب الجلل الذي أصاب أُمتنا. ونعاهد روح سيّدنا الجليل الراحل أنّنا سنبقى الأوفياء للأهداف المقدّسة التي عاش من أجلها وعمل لها وضحّى في سبيلها ليل نهار، وأن نبذل في سبيلها كلّ غالٍ ونفيس إن شاء الله.











آية الله الشيخ ناصر مكارم الشَيرازي

باسمه تعالى

لقد أوجد الفقدان المؤسف للعالم المعظّم، حضرة آية الله العلاّمة، السيّد محمد حسين فضل الله قدس سره، موجةً من الحزن في عالم التشيّع.

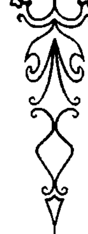
إنّ الفقيد السّعيد كان حصناً مقتدراً في لبنان أمام حملات أعداء الإسلام، ولقد حفظ هذا الحصن بشجاعةٍ وحسن تدبير.

أتقدّم في هذا المصاب الكبير، بالعزاء من عائلته الشّريفة وتمام علماء لبنان والأمّة اللبنانيّة العزيزة، وأسأل الله تعالى للمرحوم الرّحمة الإلهيّة الواسعة، ولعائلته الصبر والأجر الجزيلَيْن.

التاريخ: ٢٥ رجب ١٤٣١ هـ

الموافق: ٧/٧/٢٠١٠ م





آية الله الشيخ يوسف صانعي ـ قم

ببالغ الحزن تلقينا نبأ رحيل العالم الرباني والفقيه المتّقي آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله (رحمة الله عليه)، وبهذه المناسبة نعزّي بقية الله الأعظم (أرواحنا له الفداء) والحوزات العلمية وجميع الشيعة في العالم وبخاصة الشعب اللبناني وعائلته المحترمة.

لا شكّ أنّ رحيل عالم من هذا القبيل، الذي سعى من خلال صراعه مع التحجّر والرجعية لعرض صورة رحمانية عن الإسلام والدفاع الواعي والشامل عن المظلومين والمقاومة أمام الظلم، دون النظر إلى دين المظلومين وقوميّاتهم، يُعدُّ ثلمة لا يسدّها شيء للحياة السلمية للبشرية. إنّه حقّاً فقيه شجاع وبصير بزمانه ومكانه في عالم اليوم المتلاطم، فقد كان يشري نفسه ابتغاء الآراء الفقهية لينير بها درب المجدّدين والمفكّرين الملتزمين.

٢٨ رجب ١٤٣١ هـ

الموافق: ١٠/٧/٢٠١٠ م



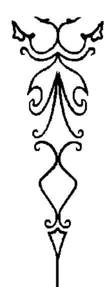
بيان آية اللّٰه الشيخ محمد مهدي الآصفي بوفاة سماحة المرجع الديني السيد محمد حسين فضل اللّٰه

إنني أكتب هذه الكلمات بتأثّر بالغٍ وأسىً عميق. فقد كان فقيدكم وفقيدنا وفقيد الأمة قمّةً في الأخلاق والأخلاقيات والقيم والمعايير.

وإذ أشارك الحزن مع أبناء الأمة في كلّ مكان على فراق فقيدنا العظيم. فإنني أستذكر بكلّ اعتزاز عقلانيته المستنيرة وإنسانيّته العميقة وتاريخه المشرّف. ومواقفه النبيلة ولن أنسى ما حييت نزاهته وأصالته وأريحيته.

لقد مثّل الراحل الكبير أفضل ما في الأمة من الخُلُق القويم، والعلم الغزير، والأدب الجمّ، وكان مدرسة نادرة إذ لم يكتف بالفكر المجرّد وبالتنظير ولو على أرفع مستوى، وإنما أغنى القول المأثور بالمساعي العملية الخيّرة والأفعال الجريئة المؤثّرة.





آية الله الشَيخ محمّد اليعقوبي

«إذا مات المؤمن الفقيه، ثُلِم في الإسلام ثلمة لا يسدّها شيء»

الإمام الصادق عليه السلام

إنّ انثلام الإسلام يعني غلق نافذةٍ كانت تطلّ منها البشريّة المكدّة المتعبة على الإسلام، لتقتبس من نوره ما يضيء لها درب السّعادة والطمأنينة.ويعني حصول ثغرةٍ في حصن الإسلام والمسلمين، حيث يقف العلماء العاملون عليها للدّفاع عن عقائد الأمّة ومبادئها وأخلاقها وحاضرها ومستقبلها.ويعني النّقص في العلوم والمعارف والبركات والألطاف التي كانت تنزل على الأمّة بإفاضة العلماء الربّانيّين.

هذا ما حصل اليوم عندما رحل عنّا صاحب النفس المطمئنّة، فقيدنا الكبير، سماحة المرجع الديني، السيّد محمد حسين فضل الله، قدّس الله روحه الزكيّة، ورجع إلى ربّه راضياً مرضيّاً، فألحقه الله تبارك وتعالى بدرجة آبائه الصّالحين.

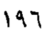
لقد كان الفقيد الرّاحل مثالاً للعالم العامل بعلمه، والطبيب الدوّار بطبّه، ولسموّ الذات، وعفّة السلوك، فقد تسامى عن الأمور الدنيّة، وترفّع حتى عن الردّ على من أساء إليه.

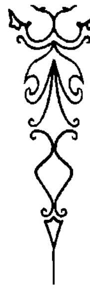
لم تُوقفه المحن والصّعوبات والإرهاب ومحاولات التّصفية الجسديّة والمعنويّة عن مواصلة درب الجهاد وتوعية الأمّة ومسيرة الإصلاح، واستمرّ على ذلك أكثر من خمسين عاماً، ويجد الكثير من الرساليّين العاملين أنفسهم مدينين لجهاده وجهده المباركين، وتشهد بكلّ ذلك كتبُه التي أنتجتها أنامله الشّريفة في مختلف العلوم والمعارف، ومؤسّساته الخيريّة والثقافيّة في أصقاع المعمورة، الّتي تساهم في إعلاء كلمة الله تبارك وتعالى، ونشر مدرسة أهل البيت عليهم السلام، ونصرة المظلومين والمستضعفين، ومساعدة المحرومين.وبهذه المناسبة، نرفع أحرّ التّعازي إلى مقام مولانا صاحب العصر والزّمان (أرواحنا له الفداء)، ولذوي الفقيد وللعلماء العاملين الّذين عرفوا فضل الرّاحل الكبير وثمّنوا عطاءه، ولعموم المسلمين، خصوصاً أتباعه ومريديه ومحبّيه.

وعزاؤنا أن يسدّ هذه الثّلمةَ الخلفُ الصّالحُ من العلماء السّائرين على طريق ذات الشّوكة، لأنّه من الصّعب التّعويض بمثله، لأنّه كان أمّة وحده.

وأملنا أن تبقى المؤسّسات الخيريّة والعلميّة والثّقافيّة الّتي شادها بروحه وعمره الشّريف، وآزره عليها ثلّة من المؤمنين الصّالحين الّذين هداهم الله تعالى إلى فعل الخير بإذنه، وأن تستمرّ بأداء دورها المبارك المعطاء.







ونقول لذوي الفقيد الرّاحل: لكم في مصائب أجدادكم الطّاهرين سلوة، وفي صبرهم الجميل أسوة، وما عند الله خير وأبقى، ولنعم دار المتّقين.

أَنَســَـتْ رَزِيَّــتُــكُــم رزايـــانـــا الـتـي
سَــلَـفَـتْ وَهَـــوَّنَـــتْ الـــرَّزَايــــا الآتــيــة

٢٥ رجب ١٤٣١ هـ

الموافق: ٢٠١٠/٧/٧ م



سماحة الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي

بسم الله الرحمن الرحيم

أسرة الفقيد الغالي المرجع السيد محمد حسين فضل الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ

ببالغ الحزن والأسى تلقيّت نبأ رحيل أخينا العزيز العلامة المجاهد المرجع السيد محمد حسين فضل الله طيب الله ثراه.

إنّ رحيل المرجع السيد محمد حسين فضل الله خسارة كبرى.. ، كان عالماً طليعياً وفقيهاً يعيش هاجس البحث عمّا يلبّي حاجات عصره في وعي وانفتاح...

كان مِثال العالم العامل الذي عاش العطاء حتّى الرمق الأخير من عمره الشريف..

هكذا عرفناك - يا أبا علي -أخاً عزيزاً، ورفيق درب طويل.. حتى عبرت إلى ضفة الخلود...

ترك رحيلك فراغاً كبيراً، وكان له الأثر البالغ في النفوس...

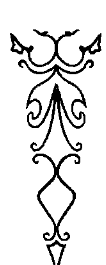
رحم الله فقيدنا الغالي، وحشره مع أجداده الطاهرين.. ، وألهمنا وذويه الصبر والسلوان..وإنا لله وإنا إليه راجعون

الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي

١ شعبان ١٤٣١ هـ

٢٠١٠/٠٧/١٣ م





سماحة السيد ساجد النقوي ـ باكستان

سماحة حجّة الإسلام والمسلمين، السيد علي فضل الله، دامت بركاته

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

ببالغٍ من الحزن والأسى، نعزّيكم برحيل المرجع الدّيني الأعلى، آية الله العظمى السيّد محمد حسين فضل الله، تغمّده الله برحمته.

فبهذه المناسبة المؤلمة، نعزّيكم ونعزّي ذوي الفقيد الرّاحل وجميع المسلمين، وبالأخصّ مسلمي لبنان وسورية، ونطلب له علوّ الدّرجات عند الباري تبارك وتعالى.

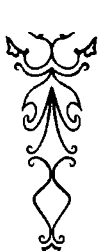
كلّنا نعلم أنّ رحيل الشخصيّة العلميّة العظيمة المعروفة في العلم والفقاهة في العالم الإسلاميّ، والصّخرة القويّة أمام المؤامرات الاستعماريّة، ليس مصيبةً تختصّ بأهالي لبنان فحسب، بل هو مصاب وخسارة لجميع العالم الإسلاميّ.

إنّ جهوده القيّمة في سبيل استقلال لبنان، وتحرير القدس وفلسطين واتحاد أهلها، لا تزال باقية الآثار، ولن تنسى أبداً، ولسوف تكون شخصيّة هذا العلم العظيم ضوءاً ينير طريق



السّائرين. فندعو الباري تعالى مرّةً أخرى بإعلاء درجاته والمنّ بالصّبر على ذويه.

نتمنى الصحّة والسلامة وطول العمر والموفّقية لكم ولمن والاكم.



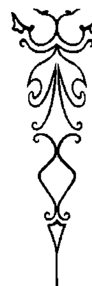
والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

السيد ساجد علي النّقوي

٢٥ رجب ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠/٧/٧ م







منظمة المؤتمر الإسلامي

إنّ رحيل العلامة فضل الله يشكل خسارة للأمة الإسلامية حيث عاش الرجل عمره مخلصاً جهده في خدمة وطنه وقضايا أمته ورمزاً للتقارب بين المذاهب، مسخراً جهده لرأب الصدع وتخفيف التوتر في لبنان وعلى صعيد العالم الإسلامي.

واعتبر الأمين العام للمنظمة أكمل الدين إحسان أوغلو أنَّ الأمة الإسلامية تفقد بهذا المصاب الجلل واحداً من أبرز الشخصيات الإسلامية التي اضطلعت بدور مهمٍّ في دعم التضامن الإسلامي.

٢ شعبان ١٤٣١ هـ

الموافق: ١٤/٠٧/٢٠١٠ م

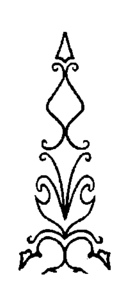


الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

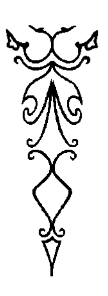
ينعي الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين إلى الأمة الإسلامية في جميع أنحاء العالم العلامة الجليل آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله الذي وافته المنية صباح اليوم الأحد في بيروت بعد حياة حافلة بالجهاد في سبيل العلم والعمل المخلص لتقريب الأمة الإسلامية بعضها من بعض، والقضاء على أسباب الشحناء والبغضاء بين الفرق والمذاهب والجماعات والطوائف.

لقد كان العلامة الجليل رحمه الله داعماً قوياً لجهود إنشاء الاتحاد وعضواً مؤسّساً من أعضائه الكبار ومارس دائماً دور الناصح الشفيق والأخ المخلص، لقيادة الاتحاد وأعضائه.

والاتحاد العالمي لعلماء المسلمين إذ ينعي سماحة الشيخ السيد فضل الله ليسأل الله أن يسكنه فسيح جناته وأن يتقبَّل صالح أعماله وأن يجزيه عن علمه وعمله خير ماجزى عالماً صالحاً عن أمته ودينه.



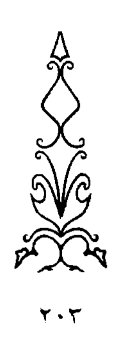
ويتقدم الاتحاد في هذه المناسبة الأليمة إلى أسرة الشيخ الجليل لاسيما ولده سماحة السيد علي محمد حسين فضل الله وسائر إخوته وجميع أفراد الأسرة بخالص العزاء رافعاً إلى الله أصدق الدعاء للفقيد الكريم.



وإنا لله وإنا إليه راجعون

الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

٢ شعبان ١٤٣١ هـ - ١٤/٧/٢٠١٠ م



بيان تعزية برحيل آية الله المجاهد السيد محمد حسين فضل الله..صادر عن إتحاد علماء المسلمين في العراق.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾

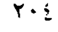
[الأحزاب : ٢٣]

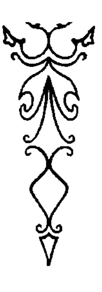
بألم شديد وحزن كبير تلقّى اتحاد علماء المسلمين في العراق نبأ رحيل آية الله المجاهد السيد محمد حسين فضل الله إلى بارئه تعالى وأمتنا الإسلامية بأحوج ما تكون لهذا العالم العلم في الفكر والوعي وانفتاح الخطاب على كلّ الحضارات.. لقد رحل رجل مدرسة الرباط والجهاد والتحدّي لقوى الاستكبار والطغيان..رحل رائد الوحدة الإسلامية ومنظّر نهج التقريب والتكامل بين المذاهب الإسلامية..رحل المربّي الراعي والمرشد الواعي للحركات الإسلامية المجاهدة، فإنا لله وإنا اليه راجعون..والقلوب يعتصرها الألم والحزن تتقدم الأمانة العامة لاتحاد علماء المسلمين في العراق بأحرّ التعازي لمراجع الإسلام



وعلمائه الأعلام، ولكل الحركات الإسلامية المجاهدة في وطننا الإسلامي ولذوي الفقيد الراحل بهذا المصاب الجلل.

سائلين المولى عزَّ وجلَّ أنْ يرفع درجته ويجبر ثلمته، ويسُدَّ فراغه بأمثاله الأعلام، ويحشره مع أجداده الطاهرين محمد وأهل بيته الطيبين، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم.





الأمانة العامة

لاتحاد علماء المسلمين في العراق

٢١/رجب/١٤٣١- الموافق ٤/٧/٢٠١٠



بيان حزب الدعوة الإسلامية ينعى فيه المرجع الديني السيد محمد حسين فضل الله.

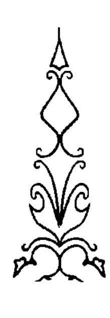
﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾

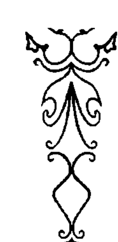
[الأحزاب : ٢٣]

تسليماً بقضاء الله وقدره، وبقلوب ملؤها الأسى ويعتصرها الألم، تلقينا نبأ رحيل المرجع الديني الفقيد آية الله السيد محمد حسين فضل الله «قدس الله نفسه الزكية» إلى جوار ربه، الذي كان علماً من أعلام الدين ورائداً من روّاد الوعي الإسلامي وركناً من أركان العلم والتقوى.

لقد كان الفقيد ملهماً للحركيين الرساليين وهم يتعاطون مع القضايا الكبيرة في العالم الإسلامي في العراق ولبنان وفلسطين وغيرها من البقاع الإسلامية، كما أنَّه كان شعلة للوعي الإسلاميّ وهو يتصدى للأفكار التي تواجه الإسلام بما يجود به فكره الإسلامي الأصيل فيما يستجد من قضايا فكرية معاصرة بحيث شكّل مدرسة واضحة المعالم عميقة الجذور تنهل من الإسلام وفكره وتضيء الطريق للسائرين على دربه.

وبرحيل آية الله العظمى العلامة السيد محمد حسين فضل





الله خسر العالم الإسلامي بل الإنسانية رجلاً قل نظيره في وعيه وتصدّيه وعطائه الذي لم يتوقّف، وسيبقى في سجل الخالدين منارة حقّ تتناقلها شفاه المصلحين المخلصين، حيث ترك من الآثار العلمية والمشاريع الفكرية والسياسية والاجتماعية ماسيبقى مناراً تهتدي به الجموع المؤمنة في ذودها عن الإسلام وتعميق وعيها الرسالي وتفجير طاقاتها دفاعاً عن الأمّة ومقدساتها.

كما أنَّ الفقيد رضوان الله عليه انتصر للقيم والمبادئ والأخلاق الإسلامية ودافع عن المحرومين والمستضعفين والمظلومين في كلّ أرجاء العالم، وكانت له بصماته الواضحة في نشر الفكر الإسلامي الرافض للتمييز الطائفي والعنصري كما أنّه كان من دعاة الأخوّة والوحدة الإسلامية ونبذ الفُرقة والتناحر بين أبنائها.

وفي العراق كان الفقيد من أوائل الذين دعموا وساهموا في بناء ونشر الوعي الإسلامي مع السيد الشهيد محمد باقر الصدر والدعاة الأوائل، وجاهد ضدّ النظام الصدامي البائد، وكان له دور بارز في ترسيخ دعائم حزب الدعوة الإسلامية في داخل العراق وخارجه من خلال مساهماته الفكرية وترشيده لحركة الدعاة العاملين، وكان نهج فقيدنا الغالي امتداداً لنهج مدرسة آية الله العظمى السيد الشهيد محمد باقر الصدر.



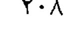
وبعد سقوط النظام البائد كان للفقيد الغالي الدور البارز في ترشيد العملية السياسية ودعم بناء العراق الجديد والتأكيد على مبدأ المصالحة الوطنية بين العراقيين وتوحيد جهود القوى السياسية لبناء العراق وتطويره واستقلاله. تغمد الله فقيدنا المرجع اية الله السيد محمد حسين فضل الله برحمته الواسعة وأسكنه فسيح جنّاته وألهم ذويه ومحبيه والسائرين على نهجه الصبر والسلوان وإنّا لله وإنّا اليه راجعون.

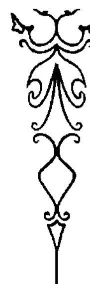
حزب الدعوة الإسلامية

٢٢ رجب ١٤٣١ هـ - ٤ تموز ٢٠١٠



حركة المقاومة الإسلامية ـ حماس





سماحة الأخ السيد علي محمد حسين فضل الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد،

فبالأصالة عن نفسي، وبالنيابة عن إخواني في حركة المقاومة الإسلامية، ومكتبها السياسي، أتقدم إليكم وإلى الأسرة الكريمة بخالص العزاء والمواساة الممزوجة بمشاعر الحزن والألم مع التسليم بقضاء الله وقدره، على وفاة والدكم العزيز الفقيد الكبير والعالم الجليل، سماحة آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ. لقد كان الفقيد العزيز قامة من قامات الأمّة الكبيرة والمتميزة بعلمه وفضله، واعتداله ووسطيته وتسامحه وانفتاحه على الآخرين، فضلاً عن مواقفه الأصيلة الشجاعة تجاه قضايا الأمة، وخاصة تجاه قضية فلسطين والصراع العربي الصهيوني، حيث كان رحمه الله من أكبر الرموز والعلماء المدافعين عن خيار المقاومة والجهاد ضد الاحتلال، والمؤيدين للنضال الفلسطيني وحقّ شعبنا في الحرية والتحرر والتحرير.

وفي ظلّ ما كان يجمعنا بالراحل الكبير من علاقة متميزة وحُسْنِ تواصل ومودّة، فإنّ شعورنا بالألم وحجم الخسارة لرحيله رحمه الله يصبح أكبر. لكننا لا نقول إلّا ما يرضي ربنا: إنا لله وإنا

إليه راجعون.رحم الله الفقيد الكبير رحمةً واسعة، وأسكنه فسيح جناته، وعوّضكم وعوّض أهله الكرام وأحبابه وأتباعه عنه خير العوض.سائلين الله تعالى أن يلهمكم والأسرة الكريمة الصبر والسلوان، وأن يعينكم على حمل الأمانة والحفاظ على هذا الإرث الكبير لهذه الشخصية الفذّة. رحمه الله رحمةً واسعة، وعظّم الله أجركم، وتفضلوا بقبول خالص العزاء والمواساة.



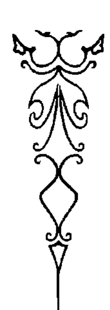
إنا لله وإنا إليه راجعون

أخوكم: خالد مشعل

٢٧ رجب ١٤٣١ هـ الموافق ٢٠١٠/٧/٩ م



بيان رئيس جمهورية العراق جلال طالباني بوفاة المرجع الديني السيد محمد حسين فضل الله.



بسم الله الرحمن الرحيم

بمزيد من الحزن والأسى تلقينا نبأ رحيل العلامة آية الله العظمى سماحة السيد محمد حسين فضل الله الذي شاءت إرادة الحق جلّ في عُلاه أن يصطفيه إلى جواره ورحمته، بعد حياة مشرِّفة بالنبل والعلم والكرامة.

إنّ رحيل العلامة فضل الله ثلمة كبيرة تعرّض لها العالم الإسلامي، وهو الذي أمضى عمره في سبيل استنهاض طاقات الأمة وانتهاج طريق الاعتدال والتجديد ولمِّ شمل المسلمين على موقف ينفتح على الإصلاح، والأخلاق النبيلة، وبرحيله خسر العالم الإسلامي خسارة كبيرة لا تعوّض.

إنّ الفقيد الغالي ومنذ ولادته المباركة في العراق، وتدريسه العلوم الدينية في حوزة النجف الأشرف، ثم مغادرته إلى بيروت وخوضه غمار العمل السياسي و الديني، أغنى الأمة الإسلامية بعلمه الوافر، وربّى جمعاً كبيراً من العلماء والفضلاء، وكان يحظى بشخصية عالم دين متميز، وفقيه متنوّر، وعَلَم جليل من أعلام الأمة.

نعزّي العالم الإسلامي، ونعزي الشعب اللبناني الشقيق، ومقلّدي ومحبي الراحل الكبير وعائلته الكريمة، مبتهلين إلى الباري سبحانه أن يتغمّده برحمته الواسعة، ويسكنه فسيح جناته، ويلهمنا جميعا الصبر والسلوان.

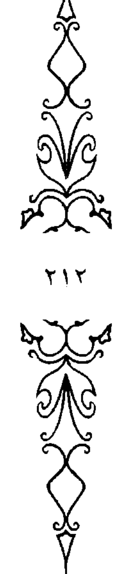


وإنّا لله وإنّا إليه راجعون



جلال طالباني

رئيس جمهورية العراق



رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي

الأخوة الأفاضل أسرة المغفور له بإذن الله تعالى عائلة الرّاحل المرجع الدّيني الكبير، آية الله العظمى السيّد محمد حسين فضل الله قدس سره

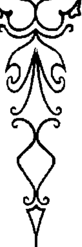
بقلوبٍ مؤمنةٍ بقضاء الله وقدره، وبمزيدٍ من الحزن والأسى، وقلوبٍ يعتصرها الألم، تلقّينا نبأ رحيل فقيد الأمّة الإسلاميّة والفكر الإنسانيّ الحيّ، والأب الكبير الّذي طالما تفيّأنا بظلال محبّته ووافر عطائه، آية الله العظمى السيد فضل الله قدس سره نتقدّم بأحرّ التّعازي لعائلته وذويه بهذا المصاب الجلل.ألهمهم الله الصّبر والسّلوان وآجرهم بمصابهم عظيم الأجر.رحم الله فقيدنا رحمة الأبرار ورفع درجته في أعلى علّيّين وإنّا لله وإنّا إليه راجعون

نوري كامل المالكي

٢٥ رجب ١٤٣١ هـ الموافق: ٢٠١٠/٧/٧ م







الشيخ نوَاف الأحمد الجابر الصباح

وليّ عهد الكويت

الأفاضل عائلة المغفور له، سماحة العلّامة المرجع محمد حسين فضل الله قدّس سرّه.

بقلوبٍ مؤمنةٍ بقضاء الله وقدره، تلقّينا نبأ وفاة المغفور له، سماحة العلّامة المرجع، السيّد محمد حسين فضل الله، الذي فقدت الأمّة الإسلاميّة بوفاته عَالِماً من علمائها البارزين. وإنّنا إذ نشارككم الأحزان لهذا المصاب الأليم، نعرب لكم عن أصدق مشاعر التّعازي والمواساة القلبيّة، مستذكرين بالتّقدير ما قدّمه الفقيد الرّاحل لوطنه وأمته العربية والإسلامية من إسهاماتٍ جليلة، داعين الله أن يتغمّده بواسع رحمته ومغفرته ورضوانه ويسكنه فسيح جناته ويلهمكم جميل الصّبر والسّلوان.

وإنّا لله وإنّا إليه راجعون

٢٧ رجب ١٤٣١ هـ ٠٩/٠٧/٢٠١٠



الشيخ ناصر الأحمد الجابر الصباح

رئيس مجلس الوزراء الكويتي

الإخوة الكرام عائلة المغفور بإذن الله تعالى العلّامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ

ببالغ الحزن والأسى تلقينا النبأ الأليم بوفاة المغفور له بإذن الله تعالى العلّامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله، رحمه الله برحمته الواسعة وأسكنه فسيح جنانه.

لقد كان الفقيد رحمه الله علماً من أعلام الخير، ومثالاً راقياً يُحتذى به في التسامح والرحمة، وكان إلى جانب فضله وسعة علمه، مرشداً حكيماً، عرفناه بمواقفه الشجاعة والصلبة لنصرة الحقّ، وأياديه البيضاء في نشر الخير ومساعدة الضعفاء والمساكين.

وإننا إذ نشاطركم الأحزان بوفاة الفقيد الكبير، فإننا نتقدم لكم بخالص تعازينا وصادق مواساتنا، سائلين الله عزَّ وجلَّ أن يتغمده بواسع عفوه ورضوانه، وأن يسكنه فسيح جنّاته، وأن يلهمكم والأسرة الكريمة جميل الصبر والسلوان.

إنا لله وإنا إليه راجعون

٢٧ رجب ١٤٣١ هـ - ٠٩/٠٧/٢٠١٠ م



الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني أمير دولة قطر

تلقينا ببالغ الأسف والتأثّر نبأ وفاة المغفور له إن شاء الله تعالى، سماحة العلامة السيد محمد حسين فضل الله، الذي فقد لبنان بوفاته واحداً من أبرز العلماء الداعين لوحدة الصف اللبناني والداعمين للصمود والمقاومة ضد أعداء لبنان والعرب والمسلمين.

إننا إذ نعرب لكم عن خالص التعازي في هذا المصاب الأليم، لندعو الله العليّ القدير أن يتغمّد الفقيد الجليل بواسع رحمته ويجعل مثواه فسيح جنّاته ويجزيه خير الجزاء عما قدّم لوطنه وأمته وأن يلهمكم الصبر وحسن العزاء.

٢٨ رجب ١٤٣١ هـ

الموافق: ١٠/٠٧/٢٠١٠ م



عبد الله الثاني ـ ملك الأردن



أسرة سماحة العلّامة المرجع، السيّد محمد حسين فضل الله، الكرام

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، فقد تلقّينا ببالغ الأسى وعميق التأثّر، نبأ وفاة سماحة العلّامة المرجع، السيد محمد حسين فضل الله، الذي انتقل إلى رحمة الله تعالى اليوم الأحد، بعد حياةٍ حافلةٍ بالعطاء خدمةً لوطنه وأمّته العربيّة والإسلاميّة.وإنّنا إذ نعرب لكم عن أصدق مشاعر التّعزية والمواساة بهذا المصاب الأليم، نبتهل إلى الله العليّ القدير، أن يتغمّد الرّاحل الكبير بواسع رحمته وغفرانه، ويسكنه فسيح جنانه، وأن يلهمكم جميل الصّبر وحسن العزاء، ويجنّبكم كلّ مكروه.

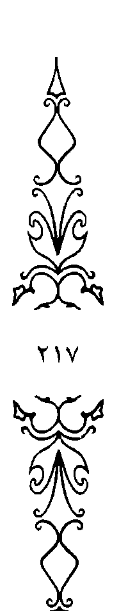
إنّا لله وإنّا إليه راجعون...

عبد الله الثاني بن الحسين

ملك المملكة الأردنية الهاشمية

٢٥ رجب ١٤٣١ هـ

الموافق: ٢٠١٠/٧/٧ م



الحسن بن طلال - الأردن

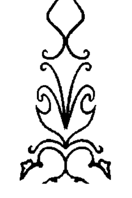
أسرة الرّاحل الكبير سماحة العلاّمة المرجع

السيّد محمّد حسين فضل الله حفظهم الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إنّني أكتب هذه الكلمات بتأثّر بالغ وأسى عميق، فقد كان فقيدكم وفقيدنا وفقيد الأمّة قمّةً سامقةً في الأخلاق والأخلاقيّات والقيم والمعايير. وإذ أشارك الحزن مع أبناء الأمّة في كلّ مكانٍ على فراق فقيدنا العظيم، فإنّني أستذكر بكلّ اعتزاز عقلانيّته المستنيرة، وإنسانيّته العميقة، وتاريخه المشرّف، ومواقفه النبيلة، ولن أنسى ما حييت نزاهته وأصالته وأريحيّته.

لقد مثّل الرّاحل الكبير أفضل ما في الأمّة من الخلقِ القويم، والعلم الغزير، والأدب الجمّ، وكان - رحمه الله رحمةً واسعة - مدرسةً نادرة؛ إذ لم يكتف بالفكر المجرّد وبالتّنظير - ولو على أرفع مستوى - وإنّما أغنى القول المأثور بالمساعي العمليّة الخيّرة، والأفعال الجريئة المؤثّرة. ومع أنّنا فقدنا بانتقاله إلى الرّفيق الأعلى موسوعةً في الفكر الإسلاميّ الرّاقي، ومرجعاً للأمّة بأسرها، ومجاهداً كبيراً في سبيل الحقّ وكلمة الله، فإنّ السيّد سيبقى أمثولةً حيّةً نقتدي بها جميعاً، ونزهو بسيرتها

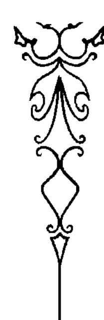


العلميّة والعمليّة العطرة.

فأعزّيكم أيّها الأحبّاء، وأعزّي نفسي، وأعزّي الأمّة برحيل شيخنا، تغمّده الله بواسع رحمته، وأسكنه فسيح جنّاته، وألهمكم وألهمنا جميعاً الصّبر وحسن السّلوان.



أسأل المولى العليّ القدير أن يعوّضنا عن هذا المصاب الجلل بالصّبر والفكر النيّر والحكمة، إنّه سميعٌ مجيب.

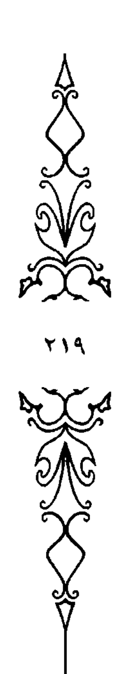


حفظكم الله ورعاكم؛ وحفظ الوطن والأمّة؛ وسلمتمُ...

الحسن بن طلال - الأردن

٢٥ رجب ١٤٣١ هـ

الموافق: ٠٧/٠٧/٢٠١٠ م



الرئيس السوداني عمر حسن البشير

تلقّينا بحزنٍ عميقٍ نبأ فاجعة رحيل سماحة السيد العلامة محمد حسين فضل الله، المرجع الإسلامي، إلى رحمة الله الواسعة، وإذ أتقدّم إليكم بإسم القيادة السودانية والشّعب السوداني بالتعازي الحارّة، مشاطرين الأسرة الكريمة، والشعب اللبناني الشقيق، والأمّتين العربية والإسلامية الأحزان في فقدها الجلل، لنسأل الله تعالى أن يتقبله قبولاً حسناً، حيث ظلّ سماحته يكرّس حياته في النصح والإرشاد والتربية والاجتهاد في قضايا الدين والدفاع عن قضايا الأمّة، وبفقده هذا، يفقد المجتمع اللبناني والعربي والإسلامي أحد أبرز أئمة الفكر والدين الذين أسهموا في بناء ونهضة الأمتين العربية والإسلامية.

عمر حسن البشير - السودان

٢٥ رجب ١٤٣١ هـ

الموافق: ٠٧/٠٧/٢٠١٠ م



الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة ملك مملكة البحرين

بقلوب مؤمنة بقضاء الله وقدره، تلقّينا بمزيد من الحزن والأسى نبأ وفاة المغفور له بإذن الله تعالى، سماحة العلامة السيد محمد حسين فضل الله. والذي أسدى خدمات جليلة للإسلام والمسلمين.

ونحن إذ نتقدم لكم وعموم الأسرة الكريمة بخالص تعازينا وصادق مواساتنا نتضرع إلى المولى القدير أن يتغمّده بواسع رحمته ورضوانه

٢٨ رجب ١٤٣١ هـ

الموافق: ٢٠١٠/٠٧/١٠ م

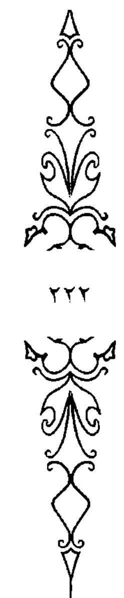


السلطان قابوس بن سعيد سلطان - عُمان

نقدّم خالص التعزيه وصادق المواساة للشعب اللبناني الشقيق وأسرة الفقيد، داعياً الله سبحانه وتعالى أن يتغمّده بواسع رحمته ويسكنه فسيح جنّاته ويلهم ذويه الصبر والسلوان.

٢٨ رجب ١٤٣١ هـ

الموافق: ٢٠١٠/٠٧/١٠ م



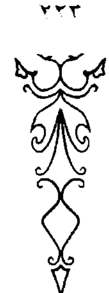
إتحاد الطلبة الإندونيسيين

نعزّي الأمّة الإسلامية على رحيل أبرز العلماء، حامل لواء الوحدة الإسلامية آية اللّه العظمى فضل الله والنجمة المضيئة في مدرسة أهل البيت، فالعينان اللتان كانتا مبلّلتين بالدموع في القيام ليلاً ومستيقظتين في محاربة الظلم والطغيان نهاراً لقد استراحتا الآن وسافرت روحه إلى الرفيق الاعلى..

٢٨ رجب ١٤٣١ هـ

الموافق: ٢٠١٠/٠٧/١٠ م

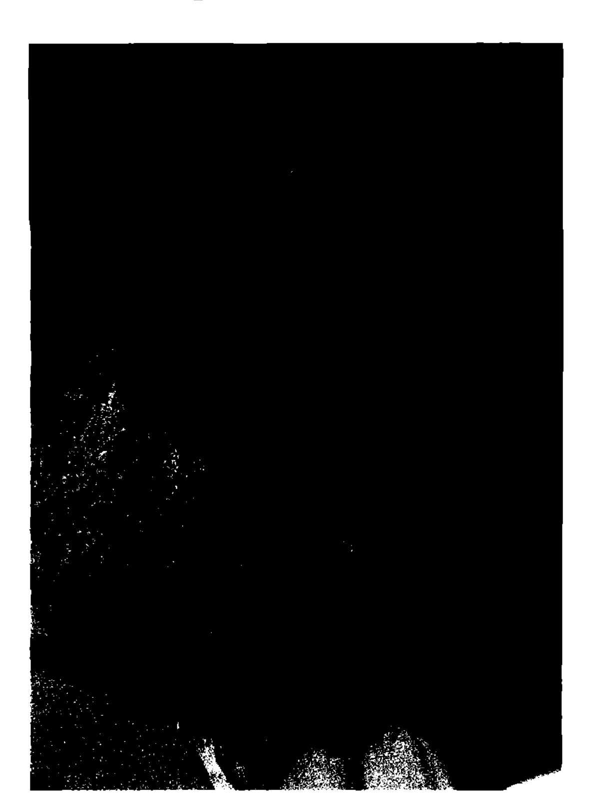




الملحق السابع

المشهد الحزين

صور عن الرحيل والتوديع الأخير



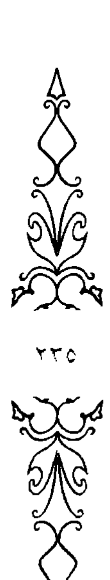

٢٣٢



الفهرس



الفصل الثاني



الفصل الثالث

الفصل الرابع

